قراءة في خطبة الفتح الصلاحي لبيت المقدس

د. كريم فاروق أحمد عبد الدايم

جامعة بوزوك– تركيا

مستخلص

يناقش هذا البحث خطبة القاضي مُحي الدين بن الزكي في أول خطبة في المسجد الأقصى بعد تحرير بيت المقدس من الصليبيين على يد صلاح الدين الأيوبي. حيث قام الباحث بتحقيق الخطبة من مصادرها، ثم دراستها للوصول إلى دلالاتها الكلية والجزئية وتأثيرها في المتلقين، في ضوء المنهج الأسلوبي الحديث المستمد من اللغة والبلاغة؛ فيرصد مستويات الأسلوب من صوت وصرف وتركيب وتصوير ودلالة جامعا بينها مع الإفادة من المناهج النقدية الأخرى والمقولات النظرية.

الكلمات الأساسية: بيت المقدس، الفتح الصلاحي، خطبة، فتح، ابن الزكي، صلاح الدين.

تمهيد

لبيت المقدس في نفوس المسلمين منذ بعث الله تعالى رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم برسالة الإسلام إلى الناس كافة؛ منزلة خاصة إذ كان القبلة الأولى لصلاته ومن معه من المؤمنين مدة من الزمن، كما ارتبط بالمعجزات التي خص الله تعالى به نبينا صلى الله عليه وسلم عندما أسري به من البيت الحرام إليه وأم فيه الأنبياء والملائكة وعرج به منه إلى السموات العلا.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

ولمنزلته تواترت عليه جيوش الصحابة رضوان الله عليهم لفتحه وتحريره من أيدي الروم ونشر دين التوحيد فيه، وتسلمه فاروق الأمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- بنفسه، وكان لما رسخه الرسول صلى الله عليه وسلم في أذهانهم من منزلة بيت المقدس وتعليقه قلوبهم به؛ أثر عظيم في ذلك الفتح، فعلى الرغم من اضطلاعه بنشر دين التوحيد وإنشاء أول مجتمع إسلامي في المدينة المنورة إلا أن "ذلك لم يمنعه نهائيا من البدء في الاستعدادات للحملة من خلال التهيئة المستمرة لصحابته بإيقافهم على خططه الاستراتيجية لبيت المقدس وكانت البداية بإعطاء البشائر الطيبة بأن المسلمين سيفتحون بيت المقدس"[1].

كما تواترت عليه جيوش المسلمين من كل مكان بقيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي لاسترداده من أيدي الصليبيين وكان ذلك بعد حروب بدأها أسلافه مع تهيئتهم المسلمين للفتح الثاني حتى تم لصلاح الدين نيل شرف تحريره وإعادة دين التوحيد إلى ربوعه وبسط السيادة الإسلامية عليه، وخلد بهذا الشرف ذكره على مر العصور. ولارتباط خطبة الجمعة التي صدح بها ابن الزكي في بيت المقدس ومسجده الأقصى باحتفال المسلمين والجيوش الصلاحية بالفتح الثاني؛ يعد إلقاء الضوء عليها بالاستقراء والتحليل ورصد دلالاتها كاشفا عن مظاهر ذلك الاحتفال، ومستدعيا أجواء النصر التي عاشها أولئك الفاتحون الصلاحيون لعل ذلك الاستدعاء يكون بشرى بالفتح الثالث بإذن الله تعالى، ومذكرا بمنزلة بيت المقدس في صدور المسلمين وما أنفق فيه من جهاد بالنفس والمال، فضلا عن الكشف عما تضمنته الخطبة من دلالات كارتباط سيادة المسلمين على بيت المقدس بالمكيال الذي توزن به عزتهم وقوة وحدتهم ومدى اتباعهم نهج الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم.

ولذا انصب اهتمامنا على خطبة الفتح الصلاحي لبيت المقدس وعكفنا على دراستها بغية الوصول إلى دلالاتها الجزئية والكلية بمنهج يعتمد على الاستقراء والتحليل ورصد الظواهر اللغوية التي تميزها بالإفادة من الدرس الأسلوبي الحديث الذي يستقي أدواته من اللغة والبلاغة، فيرصد مستويات الأسلوب من صوت وصرف وتركيب وتصوير ودلالة

جامعا بينها، مع الإفادة من المناهج النقدية الأخرى والمقولات النظرية. ولتعدد المصادر التي وردت فيها الخطبة واختلاف بعض المفردات فقد آثر البحث تحقيق الخطبة للوصول إلى الغاية المرجوة من الاستقراء والتحليل ورصد الظواهر اللغوية.

وقسم البحث على قسمين: القسم الأول يشمل: المقدمة، والكشف عن المنهج، والخطيب، وموعد الخطبة وأهميتها. القسم الثاني يشمل: الخطبة، وتحليل عناصرها ومن ثم خلاصة القراءة.

الخطيب

هو أحد أحفاد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: "محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز بن علي: قاضي قضاة الشام محيي الدين، أبو المعالي ابن قاضي القضاة زكي الدين أبي الحسن ابن قاضي القضاة المنتجب، أبو المعالي ابن قاضي القضاة الزكي أبي الفضل القرشي، الدمشقي، الشافعي. ولد سنة خمسين وخمسمائة، وقرأ المذهب على جماعة. وسمع من: والده، وعبد الرحمن بن أبي الحسن الداراني، وسعيد بن سهل الفلكي، والصائن هبة الله بن عساكر، وأبي المكارم عبد الواحد بن هلال، وجماعة. وهو من بيت القضاء والحشمة والأصالة والعلم. روى عنه: الشهاب القوصي في معجمه، والمجد بن عساكر، وغيرهما. وبالإجازة أحمد بن أبي الخير. وعاش ثمانيا وأربعين سنة. وكان أديبا، منشئا، بليغا، مُدرَها، فصيحا، مفوَّها"[2]. وتلك الصفات التي أوردتها المصادر عن ابن الزكي تعبر عن تميزه عن غيره إذ كان عمره آن ذاك ثلاثا وثلاثين سنة، مما يعني أنه تخطى من كان يكبره سنا من المشهورين من شيوخ المسلمين وعلمائهم ليخطب هو تلك الخطبة في ذلك اليوم المبارك الذي تترقب الآن جموع الأمة الإسلامية تكراره، ولعل ما أهله لذلك بجانب تميزه ما تضمنته خطبته من دلالات.

موعد الخطبة وأهميتها

أما موعد الخطبة فكان في يوم الجمعة الرابع من شعبان سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، وهي الجمعة التالية لتسلم المسلمين بيت المقدس[3]، وهو ما أورده العماد الأصفهاني الذي

عاصر فتح بيت المقدس بقوله: "*فلما دخل يوم الجمعة رابع شعبان أصبح الناس يسألون في تعيين الخطب السلطان .. وأوعز إلى القاضي محيي الدين أبي المعالي محمد بن زكي الدين علي القرشي بأن يرقى ذلك المرقى*"[4].

والواضح مما نقل عن المؤرخين التحضير لهذه الخطبة بتطهير المسجد الأقصى من مظاهر الشرك والدنس لا سيما الصلبان وحوانيت الخمر، وذلك مفهوم مما نقله ابن العديم: "وتسلم القدس في يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب، وأقيمت صلاة الجمعة فيه، في الجمعة التي تلي هذه، وهي رابع شعبان. وخطب بالناس محيي الدين بن زكي الدين، وهو يومئذ قاضي حلب، وأزيلت الصلبان من قبة الصخرة، ومحراب داود، وأزيل ما كان بالمسجد الأقصى من حوانيت الخمارين"[5].

ومما صرح به العماد الأصفهاني الذي شارك في التطهير: "وكان الأقصى بلا محرابه مشغولا بالخنازير والخنا مملوءا بما أحدثوا من النسى مغمورا بالنجاسات حتى حرم علينا في تطهيره منا ألوفا"[6]

ومما نقله أبو شامة المقدسي عن العماد أيضا: "*قال العماد في كتاب البرق لما كان يوم الجمعة التالية لجمعة الفتح تقدم السلطان في المسجد الأقصى ببسط العراص وإخلائها لأهل الإخلاص وتنظيفها من الأدناس وكنس ما في أرجائها من الأرجاس*"[7].

وهذا التحضير لا يدل على منزلة بيت المقدس عند المسلمين فحسب، بل ويدل على أهمية الخطبة التي مثلت احتفال المسلمين باسترداد بيت المقدس من أيدي الغزاة الصليبيين؛ ولتلك الأهمية تسابق علماء المسلمين لنيل شرف الخطابة في ذلك اليوم المشهود واهتم السلطان صلاح الدين باختيار من يرتقي ذلك المرقى المبارك؛ إذ: "*لما فتح السلطان القدس الشريف تطاول إلى الخطابة يوم الجمعة كل واحد من العلماء الذين كانوا معه في خدمته حاضرين وجهز كل واحد منهم خطبة بليغة طمعا في أن يكون هو الذي يعين لذلك فخرج المرسوم إلى القاضي محي الدين أبي المعالي محمد بن أبي الحسن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز بن علي بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن الوليد بن القاسم بن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان*"[8].

ولتلك الأهمية أيضا احتشد المسلمون على اختلاف فئاتهم في بيت المقدس فرحا بفتحه واجتماعا لشكر الله بالصلاة والدعاء، فمما أورده القاضي ابن شداد أحد معاصري الفتح: "*وكان تسلمه القدس قدس الله روحه في يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب وليلة كانت المعراج المنصوص عليها في القرآن المجيد فانظر إلى هذا الاتفاق العجيب كيف يسّر الله عوده إلى أيدي المسلمين في مثل زمان الإسراء بنبيهم صلّى الله عليه وسلّم وهذه علامة قبول هذه الطاعة من الله تعالى، وكان فتوحا عظيما شهده من أهل العلم خلق عظيم ومن أرباب الحرف والطرق، وذلك أن الناس لما بلغهم ما يسّر الله على يده من فتوح الساحل، وشاع قصده القدس، قصده العلماء من مصر ومن الشام بحيث لم يتخلف معروف من الحضور، وارتفعت الأصوات بالضجيج والدعاء والتهليل والتكبير، وخطب فيه، وصليت فيه الجمعة*"[9].

وبجانب ذلك فالخطبة تعد وثيقة تاريخية مهمة إذ دونها العماد الأصفهاني في كتابه البرق الشامي ونقلها عنه أبو شامة وغيره، وكان العماد حاضرا يوم الخطبة في بيت المقدس إذ وصل إليه يوم السبت الثامن والعشرين من رجب كما صرح بنفسه: "*ووصلت بكرة السبت ثاني يوم الفتح بالسعد واليمن والنجح فوصلني السلطان عند وصولي بأجلى بشاشة*"[10].

ولعل العماد لم يدونها سماعا فحسب بل ربما حصل عليها مكتوبة قبل الجمعة، وهو ما يبدو من تصريحه بعرض الخطباء خطبهم عليه للاختيار: "*وانتدب الخطباء وكثر المترشحون للخطابة المتوشحون بالإصابة المعروفون بالفصاحة الموصوفون بالحصافة فما فيهم إلا من خطب الرتبة ورتب الخطبة وأنشأ معنى شائقا ووشى لفظا رائقا وسوى كلاما بالموضع لائقا وروى مبتكرا من البلاغة فائقا. وفيهم من عرض علي خطبته وطلب مني نصبته وتمنى أن ترجح فضيلته.. فنصب السلطان الخطيب بنصه وأبان عن اختياره بعد فحصه*"[11].

الخطبة

{فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[12]، {الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[13]، {الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ}[14]، {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا}[15]، {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا. قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا .مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا. وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا. مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا}[16]، {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى}[17]، {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ. يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ}[18]، {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا}[19].

والخطبة:

الحمدُ للهِ معزِ الإسلام[20] بنصره، ومذلِ الشرك بقهره، ومصرفِ الأمور بأمره، ومديمِ النعم بشكره، ومستدرجِ الكافرين بمكره. الذي قدَّر الأيامَ دولا بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقين بفضله، وأفاء على عبادِه من ظله، وأظهر دينَه على الدين كلِه. القاهرِ فوق عباده فلا يُمانَع، والظاهرِ على خليقته فلا يُنازَع، والآمرِ بما يشاءُ فلا يُراجَع، والحاكمِ بما يريدُ فلا يُدافَع.

أحمَدُه على إظفاره وإظهاره[21]، وإعزازه لأوليائه ونصره لأنصاره، وتطهيرِه بيتَه المقدس[22] من أدناسِ الشرك وأوضاره، حمدَ من استشعر الحمدَ باطنُ سره وظاهرُ جهاره[23]. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، الأحدَ الصمد[24]، الذي { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ}[25]، شهادةَ من طهَّر بالتوحيد قلبَه، وأرضى به ربَّه. وأشهدُ أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبدُه ورسولُه رافعُ الشك، وداحضُ الشرك، وراحضُ الإفك، الذي أُسري به من المسجدِ الحرام إلى هذا المسجدِ الأقصا، وعُرج به منه إلى السمواتِ العلا، إلى سدرةِ المنتهى، عندها جنةُ المأوى، {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى}[26]. صلى الله عليه وعلى خليفتِه أبي بكرِ الصديقِ السابقِ إلى الإيمان، وعلى أمير المؤمنين عمرَ بن الخطابِ أول من رفع عن هذا البيتِ شعارَ[27] الصلبان، وعلى أمير المؤمنين عثمانَ بن عفان ذي النورين جامعِ القرآن، وعلى أميرِ المؤمنين علي بن أبي طالب مزلزِلِ الشرك ومكسرِ الأوثان، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان.

أيها الناسُ أبشروا برضوانِ الله الذي هو الغايةُ القُصوى، والدرجةُ العليا. لما يسره اللهُ على أيديكم من استردادِ هذه الضالَّةِ من الأمةِ الضالَّةِ وردِّها[28] إلى مقرِها من الإسلام، بعد ابتذالها في أيدي المشركين قريبا من مائةِ عام. وتطهيرِ هذا البيتِ الذي أذِن اللهُ أن يُرفعَ وأن يُذكرَ فيه اسمُه، وإماطةِ الشرك عن طرقِه بعد أن امتدَّ عليها رَواقُه واستقر فيها رسمُه. ورفع قواعدَه بالتوحيدِ فإنه بُني عليه، وشَيَّد بنيانَه بالتمجيد[29] فإنه أُسس على التقوى من خلفِه ومن بين يديه. فهو موطنُ أبيكم إبراهيمَ ومعراجُ نبيكم محمدٍ عليه السلام[30]، وقبلتُكم التي كنتم تصلُّون إليها في ابتداءِ الإسلام، وهو مقرُّ الأنبياء، ومقصِدُ الأولياء، ومفرُّ الرسل ومهبِطُ الوحي، ومنزلُ تنزلِ الأمرِ والنهي[31]. وهو في أرضِ المحشر، وصعيدِ المنشر. وهو في الأرضِ المقدسةِ التي ذكرها اللهُ في كتابِه المبين، وهو المسجدُ[32] الذي صلى فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالملائكةِ المقربين. وهو البلدُ الذي بعث اللهُ إليه عبدَه ورسولَه، وكلمتَه التي ألقاها إلى مريمَ ورُوحَه، عيسى الذي شرفه اللهُ برسالتِه، وكرمه بنبوتِه[33]، ولم يزحزحْه عن رتبةِ عبوديتِه، فقال تعالى: {لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ}[34]، كذَب العادلون بالله وضلوا ضلالا بعيدا {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ. عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}[35]. وقال: { لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ}[36]. وهو أولُ القبلتين، وثاني المسجدين، وثالثُ الحرمين. لا تُشدُّ الرحالُ بعد المسجدين إلا إليه، ولا تُعقدُ الخناصرُ بعد الموطنين إلا عليه.

ولولا أنكم ممن اختاره اللهُ من عبادِه، واصطفاه من سكانِ بلادِه، لما خصكم بهذه الفضيلةِ التي لا يجاريكم فيها مجارٍ، ولا يباريكم في شرفِها مبار[37]. فطوبى لكم من جيشٍ ظهرت على أيديكم المعجزاتُ النبوية، والوقعاتُ البدرية، والعزماتُ الصديقية، والفتوحُ العمرية، والجيوشُ العثمانية، والفتكاتُ العَلوية، جددتم للإسلامِ أيامَ القادسية، والوقعاتِ اليرموكية، والمنازلاتِ الخيبرية، والهجماتِ الخالدية[38]. فجزاكم اللهُ عن نبيه[39] محمدٍ صلى الله عليه وسلم أفضلَ الجزاء، وشكر لكم ما بذلتموه من مهجِكم في مقارعةِ الأعداء، وتقبل منكم ما تقربتم به إليه من مهراقِ الدماء، وأثابكم الجنةَ فهي دارُ السعداء. فاقدروا- رحمكم الله- هذه النعمةَ حقَّ قدرِها، وقوموا لله تعالى بواجبِ شكرِها[40]، فله المنةُ[41] عليكم بتخصيصِكم بهذه النعمة، وترشيحِكم لهذه الخدمة. فهذا هو الفتحُ الذي فُتحت له أبوابُ السماء، وتبلجت بأنوارِه وجوهُ الظلماء. وابتهج به الملائكةُ المقربون، وقر به عينًا الأنبياءُ والمرسلون. فماذا له[42] عليكم من النعمةِ بأن جعلكم الجيشَ الذي يُفتحُ على يديه[43] البيتُ المقدسُ في آخرِ الزمان، والجندَ الذي تقومُ بسيوفِهم بعد فترةٍ من النبوةِ أعلامُ الإيمان. فيوشك أن تكونَ التهاني به بين أهلِ الخضراء، أكثرَ من التهاني به

بين أهلِ الغبراء[44]. أليس[45] هو البيتَ الذي ذكره اللهُ في كتابِه، ونصَّ عليه في خطابِه، فقال تعالى {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}[46] الآية؟. أليس هو البيتَ الذي عظمته الملل[47]، وأثنت عليه الرسل، وتليت فيه الكتبُ الأربعةُ المنزلةُ من إلهِكم عز وجل؟، أليس هو البيتَ الذي أمسك اللهُ عز وجل لأجلِه[48] الشمسَ على يوشعَ أن تغرب، وباعد بين خطواتِها ليتيسر فتحُه ويقرب؟. أليس هو البيتَ الذي أمر اللهُ موسى أن يأمرَ قومَه باستنقاذِه فلم يجبْه إلا رجلان، وغضب عليهم لأجلِه فألقاهم في التيهِ عقوبةً للعصيان. فاحمَدوا اللهَ الذي أمضى عزائمَكم لما نكلت عنه بنو إسرائيلَ وقد فضلهم على العالمين، ووفقكم لما خُذل فيه من كان قبلَكم من الأممِ الماضين[49]. وجمع لأجلِه كلمتَكم وكانت شتى، وأغناكم بما أمضته كان وقد عن سوف وحتى. فليُهنِّكم أن اللهَ قد ذكركم به فيمن عندَه، وجعلكم بعد أن كنتم جنودا لأهويتِكم[50] جندَه. وشكركم الملائكةُ المنزلون على ما أهديتم إلى هذا البيتِ من طيبِ التوحيد، ونشرِ التقديسِ والتمجيدِ والتحميد[51]. وما أمطتم عن طرقِهم فيه من أذى الشركِ والتثليث، والاعتقادِ الفاجرِ الخبيثِ. فالآنَ تستغفرُ لكم أملاكُ السموات، وتصلي عليكم الصلواتِ المباركات.

فاحفظوا- رحمكم الله- هذه الموهبةَ فيكم، واحرسوا هذه النعمةَ عندكم، بتقوى اللهِ؛ التي من تمسك بها سلِم، ومن اعتصم بعروتِها نجا وعُصم. واحذروا من اتباعِ الهوى، وموافقةِ الردى، ورجوعِ القهقرى، والنكولِ عن العِدى. وخذوا في انتهازِ الفرصة، وإزالةِ ما بقي من الغصة. وجاهدوا في اللهِ حقَّ جهادِه، وبيعوا- عبادَ الله- أنفسَكم في رضاه إذ جعلكم من خيرِ[52] عبادِه. وإياكم أن يستزلَّكم الشيطان، وأن يتداخلَكم الطغيان. فيخيّلَ لكم أن هذا النصرَ بسيوفِكم الحداد، وبخيولِكم الجياد، وبجلادِكم في مواطنِ الجلاد. لا واللهِ {وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}[53].

واحذروا- عبادَ الله- بعد أن شرفكم بهذا الفتحِ الجليل، والمنحِ الجزيل. وخصكم بهذا النصرِ المبين[54]، وأعلق أيديكم بحبلِه المتين[55]؛ أن تقترفوا كبيرا من مناهيه، وأن تأتوا عظيما من معاصيه، فتكونوا {كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا}[56]، و{الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ}[57]. والجهادَ الجهادَ فهو من أفضلِ عباداتِكم، وأشرفِ عاداتِكم، انصروا اللهَ؛ ينصرْكم، احفظوا اللهَ؛ يحفظْكم[58]، اذكروا اللهَ؛ يذكرْكم، اشكروا اللهَ؛ يزدْكم ويشكرْكم. خذوا في حسمِ الداء، وقطعِ شأفةِ الأعداء. وطهروا بقيةَ الأرضِ من هذه الأنجاسِ التي أغضبت اللهَ ورسولَه[59]، واقطعوا فروعَ الكفرِ واجتثوا أصولَه. فقد نادت الأيامُ بالثاراتِ الإسلامية، والملةِ المحمدية: اللهُ أكبر، فتح اللهُ ونصر، غلب اللهُ وقهر، أذل اللهُ من كفر.

واعلموا- رحمكم الله- أن هذه فرصةٌ فانتهزوها، وفريسةٌ فناجزوها، وغنيمةٌ فحوزوها، ومهمةٌ[60] فأخرجوا لها همَمَكم وبرِّزوها، وسيِّروا إليها سرايا عزماتِكم وجهزوها. فالأمورُ بأواخرِها، والمكاسبُ بذخائرِها، فقد أظفركم اللهُ بهذا العدوِ المخذولِ وهم مثلُكم أو يزيدون، فكيف وقد أضحى في قبالةِ الواحدِ منكم منهم[61] عشرون، وقد قال الله تعالى {إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ}[62]. أعاننا اللهُ وإياكم على اتباعِ أوامرِه، والازدجارِ بزواجرِه، وأيدنا معشرَ المسلمين بنصرٍ من عندِه، {إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ}[63].

إن أشرفَ مقالٍ يُقالُ في مقام، وأنفذَ سهامٍ عن قسي الكلام، وأجلى قولٍ تُجلى به الأفهام، كلامُ الواحدِ العزيزِ العلام، قال الله تعالى: {وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[64]، أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم بسم اللهِ الرحمنِ الرحيم وقرأ أول سورة الحشر[65] ثم قال: آمرُكم وإياي بما أمر اللهُ به مِن حُسنِ الطاعةِ فأطيعوه، وأنهاكم وإياي عما نهى اللهُ من قبحِ المعصيةِ فلا تعصوه، وأقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين فاستغفروه[66].

وتمام الخطبة والخطبة الثانية قريب مما جرت به العادة وقال بعد الدعاء للخليفة:

اللهم وأدم سلطانَ عبدِك، الخاضعِ لهيبتِك، الشاكرِ لنعمتِك، المعترفِ بموهبتِك. سيفِك القاطع، وشهابِك اللامع، والمحامي عن دينِك المدافع، والذابِّ عن حرمِك وحرمِ رسولِك الممانع. السيدِ الأجل، والكهفِ الأظل[67]. الملكِ الناصرِ جامعِ كلمةِ الإيمان، وقامعِ عبدةِ الصلبانِ والأوثان[68]. صلاحِ الدنيا والدين، سلطانِ الإسلام والمسلمين، مطهرِ البيتِ المقدسِ من أثرِ المشركين[69]، أبي المظفرِ يوسفَ بن أيوب محيي دولةِ أميرِ المؤمنين. اللهم عمَّ بدولتِه البسيطة، واجعلْ ملائكتَك المقربين[70] برياتِه محيطة. وأحسنْ عن الدينِ الحنيفي[71] جزاءَه، واشكرْ عن الملةِ المحمديةِ عزمَه ومضاءَه. اللهم أبقِ للإسلامِ والمسلمين[72] مهجتَه، ووقِّ للإيمانِ[73] حوزتَه، وانشرْ في المشارقِ والمغاربِ دعوتَه. اللهم كما فتحت على يده البيتَ المقدسَ بعد أن ظُنت الظنون، وابتلي المؤمنون؛ فافتحْ على يده دانيَ الأرضِ وقاصيها، وملِّكْه بفضلِك وكرمِك[74] صياصي الكفرةِ ونواصيها. فلا تلقاه منهم كتيبةٌ إلا مزقها، ولا جماعةٌ بعزتِك[75] إلا فرقها، ولا طائفةٌ بعد طائفةٍ إلا ألحقها بمن سبقها. اللهم اشكرْ له[76] عن محمدٍ صلى الله عليه وسلم سعيَه، وأنفِذْ في المشارقِ والمغاربِ أمرَه ونهيَه. اللهم وأصلحْ به أوساطَ البلادِ وأطرافَها، وأرجاءَ الممالكِ وأكنافَها. اللهم ذللْ به معاطسَ الكفار، وأرغمْ به أنوفَ الفجار، وانشرْ ذوائبَ ملكِه برحمتِك[77] على الأمصار، وابثُثْ سرايا جنودِه في سبلِ الأقطار[78]. اللهم ثبتْ الملكَ فيه وفي عقبِه إلى يومِ الدين، واحفظْه

في بنيه وبني أبيه الملوكِ الميامين، واشدُدْ عضدَه ببقائِهم، واقضِ بإعزازِ أوليائِه وأوليائِهم[79]. اللهم كما أجريت على يده في الإسلامِ هذه الحسنةَ[80] التي تبقى على الأيام، وتتخلدُ على مرِّ الشهورِ والأعوام؛ فارزقْه الملكَ الأبديَ الذي لا ينفدُ في دارِ المتقين، وأجبْ دعاءَه في قولِه: {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}[81]."[82]

بين يدي الخطبة

البدء بآيات الحمد:

بدأ الخطيب خطبته بجمع التحميدات من القرآن الكريم وذلك له دلالات شكر نعمة الله تعالى في توفيقه المسلمين في استرداد بيت المقدس من أيدي الصليبيين، وذلك التوفيق هبة ربانية لعباد استحقوها بإخلاص الإيمان والجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم بعد أن جمعت كلمة المسلمين وعدتهم وعتادهم. وهذا الحمد وتكراره يكشف عن أهمية المسترَد ومنزلته الدينية؛ إذ يعد الاحتفال بنصر الله إياهم بالصلاة والحمد والشكر وتطهير مظاهر الكفر والتدنيس، وعلى رأس المحتفلين صلاح الدين قائد تحرير بيت المقدس وقادته وجنوده المجاهدون وعلماء الأمة ومشايخها؛ دالا على تلك المنزلة، وذلك مفهوم مما أورده ابن شداد عن بكاء صلاح الدين في ركعتي النوافل في يوم جمعة خوفا على بيت المقدس: "*وصلى الركعتين بين الأذان والإقامة ورأيته ساجدا ودموعه تتقاطر على شيبته وعلى سجادته ولا أسمع ما يقول*"[83]. ومن إشارة العماد الأصفهاني إلى تطهير صلاح الدين المسجد وما حوله بنفسه: "*ومن جملة أفعاله المشكورة ومكرماته المشهورة أنه حضر يوما في قبة الصخرة مع جماعة من السراة الأسرة ومعه من ماء الورد أحمال ولأجل الصدقة والرفد مال فانتهز فرصة هذه الفضيلة التي ابتكرها بالافتراض وتولى بيده كنس تلك الساحات والعراص ثم غسلها بالماء مرارا حتى تطهرت ثم أتبع الماء بماء الورد صبا حتى تعطرت وكذلك طهر حيطانها وغسل جدرانها*"[84].

واحتفال المسلمين بتلك الوسائل يستدعي في الذاكرة أشكال احتفال المحتل الصليبي قديما قبل الفتح الصلاحي بما ينافي الشرائع السماوية بتدنيس البيت المقدس بحوانيت

الخمور وغيرها كما مر بنا من نص ابن العديم، وبقتل الأبرياء وسرقة محتويات البيت المقدس، وذلك مفهوم من قول ابن الجوزي: "*ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة فمن الحوادث فيها: أخذ الإفرنج بيت المقدس في يوم الجمعة ثالث عشر شعبان، وقتلوا فيه زائدا على سبعين ألف مسلم، وأخذوا من عند الصخرة نيفا وأربعين قنديلا فضة كل قنديل وزنه ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وأخذوا تنور فضة وزنه أربعون رطلا بالشامي، وأخذوا نيفا وعشرين قنديلا من ذهب، ومن الثياب وغيره ما لا يحصى، وورد المستنفرون من بلاد الشام، وأخبروا بما جرى على المسلمين*"[85].

كما يستدعي أفعال العصابات الصهيونية حديثا بما ينافي الشرائع السماوية والأعراف الإنسانية عندما اغتصبوا بإمداد من الصليبيين الجدد ذلك البيت المقدس وأكنافه بغير حق ودنسوه وقتلوا أولياءه وهجَّروا أصحابه[86] وما زالوا حتى يأذن الله بالفتح الإسلامي القادم.

وبالتأمل في آيات الحمد التي أوردها الخطيب نجد طائفتين بإزاء بعضهما، الطائفة الأولى جمع فيها من كفروا بربهم، ومنهم مشركو العرب قبل الإسلام واليهود والنصارى الذين جعلوا لله ولدا كما في تفسير آيات سورة الكهف[87]، ويظهر عموم الكفار من الآية إحدى عشرة ومائة من سورة الإسراء[88]، ويظهر العموم أيضا من الآية الخامسة والأربعين من سورة الأنعام، وهو مفهوم من تفسير الطبري قوله تعالى: "*﴿فقُطع دابر القوم الذين ظلموا﴾، فاستؤصل القوم الذين عتوا على ربهم، وكذّبوا رسله، وخالفوا أمره، عن آخرهم، فلم يترك منهم أحد إلا أهلك بغتة إذ جاءهم عذاب الله*"[89]. ومن تفسيره أيضا الآية الأولى من سورة الأنعام: "*وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إنّ الله تعالى ذكره أخبر أنّ الذين كفروا بربهم يعدلون، فعمّ بذلك جميع الكفّار، ولم يخصص منهم بعضا دون بعض. فجميعهم داخلون في ذلك: يهودهم، ونصاراهم، ومجوسهم، وعبدة الأوثان منهم ومن غيرهم من سائر أصناف الكفر*"[90].

والطائفة الثانية جمع فيها من آمنوا بربهم وعبدوه حق عبادته وهم المسلمون، كما جاء في تفسير قوله تعالى: {عباده الذين اصطفى} من الآية التاسعة والخمسين من سورة النمل: "*الذين اجتباهم لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فجعلهم أصحابه ووزراءه على*

الدين الذي بعثه بالدعاء إليه دون المشركين به، الجاحدين نبوة نبيه"[91]. وكما جاء في تفسير الآية الثانية من سورة الكهف: "*وقوله: {وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ}، يقول: ويبشر المصدقين الله ورسوله {الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ} وهو العمل بما أمر الله بالعمل به، والانتهاء عما نهى الله عنه {أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا}، يقول: ثوابا جزيلا لهم من الله على إيمانهم بالله ورسوله، وعملهم في الدنيا الصالحات من الأعمال، وذلك الثواب: هو الجنة*"[92].

ولارتباط الخطبة بالفتح الصلاحي لبيت المقدس وتحريره من الصليبيين على اعتبارهم من طائفة الكافرين؛ كان من البدهي أن يورد الخطيب من الآيات ما يختص بكفار النصارى دون غيرهم، لأن الفاتحين الصلاحيين جاهدوهم وحرروا بيت المقدس من أيديهم وطهروه من مظاهر كفرهم؛ لكنه أورد من الآيات ما يذكر عموم من كفر من النصارى واليهود والمجوس وغيرهم، وهو ما يعني أن جهاد المسلمين في تحرير بيت المقدس لا يفرق بين كون من اغتصبه من الصليبيين أو اليهود أو غيرهم؛ إذ لو كان اليهود هم من اغتصبوه من المسلمين لجمع صلاح الدين أيضا الجيوش الإسلامية وحرره من أيديهم وطهره من تدنيسهم ومظاهر كفرهم وظلمهم، وهو ما يشير إلى عدم وجود أي حق لمن كفر بالله- يهوديا كان أو نصرانيا أو مجوسيا أو غيرهم- في السيادة على بيت الله المقدس أو في أرض قدسها الله تعالى وبارك فيما حولها. وإنما الحق لعباد الله المسلمين المخلصين الذين يوفقهم في تحرير بيته وأرضه المقدسة وتطهيرهما من الكفر ومظاهره، وهو ما كان في الفتح الإسلامي العمري والفتح الإسلامي الصلاحي، وما سيكون في الفتح الإسلامي القادم بإذن الله ما دام المسلمون مخلصين عبادتهم لله ومواصلين جهادهم العدو الصهيوني الذي دنس الأرض المقدسة بكفره وظلمه.

استرداد بيت المقدس من مظاهر عزة المسلمين

وبعد انتهاء الخطيب من إيراد آيات الحمد شرع في صياغة تحميداته في قوالب متشابهة التراكيب تربط بين حمد الله تعالى على توفيقه عباده المخلصين في فتح بيت المقدس وبسط سيادتهم عليه، وبين ما ترتب على ذلك الفتح من مظاهر منها: عزة الإسلام

وإظهاره، وتطهير بيته المقدس، وإعزاز الله المسلمين، وجعل العاقبة لهم، والإفاءة عليهم، وتصريف أمورهم، وإدامة نعمه عليهم. وفي المقابل إذلال الله الشرك، واستدراج الكفار إلى هلاكهم، وتقدير الدولة عليهم. وتلك المظاهر تعبر عن حالين بإزاء بعضهما: الأولى عزة الإسلام والمسلمين بعد فتح بيت المقدس وسيادتهم عليه بما استحقوا بإخلاص العبادة لله والجهاد في سبيله، والثانية ذل الكفر والكافرين بعد استرداد المسلمين بيت المقدس من أيديهم وتطهيره من تدنيسهم، والمؤثر في الحالين هو السيادة على بيت المقدس. مما يعني أن المقياس الذي يقاس به عزة المسلمين هو السيادة على بيت المقدس.

وقد اعتمد الخطيب في إبراز تانك الحالين المتقابلتين على عدة ظواهر لغوية، منها: التقابل بين مفردات الفاصلة الأولى "*معز الإسلام بنصره*"، والفاصلة الثانية "*مذل الشرك بقهره*"، وذلك بالتقابل المعجمي بين العزة والذل، والإسلام والشرك، وذلك التقابل يؤكد[93] عزة الإسلام بفتح بيت المقدس، وثمة تأكيد آخر على تلك العزة يتضح من الترادف[94] بين دلالة الفاصلتين[95]. ولعل حشد الخطيب أصوات الصفير "ز، س، ص، ذ، ش"[96] كاشف عن رغبته في إذاعة تلك الدلالة.

وبالنظر فيما أورد الخطيب في الفواصل عموما نجد أنه نسب أسباب استرداد بيت المقدس إلى الله تعالى وقدرته ووسائله، مما يعد إقرارا استحق وصف جيوش المسلمين الذين استردوا بيت المقدس بعباد الله المخلصين. ويتضح ذلك من اعتماد الخطيب عدة ظواهر لغوية في الفواصل الخمس الأولى، منها: صيغة اسم الفاعل للدلالة على الفاعلية والقدرة المنسوبة لله تعالى: "معز، مذل، مصرف، مديم، مستدرج" وامتدت تلك الصيغة إلى الفواصل بعدها: "القاهر، الظاهر، الآمر، الحاكم". وأكد القدرة لتقريرها في الأذهان بتكرار الصيغة الصرفية أول كل فاصلة[97]. وبإبراز الجانب العملي للقدرة المتمثل في الوسائل: "بنصره، بقهره، بأمره، بشكره، بمكره" وامتدت تلك الوسائل إلى الفاصلتين التاليتين: "بعدله، بفضله"، وقد صاغ الخطيب تلك الوسائل صرفيا في قالب المصدر ذي الدلالة على إطلاق الزمن[98] ونحويا في قالب الحال ذات الدلالة على الملازمة[99] مما يؤكد شمول قدرة الله كل الأزمنة وكل الأحوال وعدم التقيد بزمن أو حال. وبتكرار القالب

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

التركيبي المكون من "اسم الفاعل، مضاف إليه، مصدر"، وبجانب التأكيد الدلالي لتكرار ذلك القالب ثمة تأثير صوتي على المتلقين عن طريق التوازي بين مفردات الفواصل.

واعتمد في بناء الفواصل الأربع التالية على التصدير بالفعل الماضي ذي الدلالة على التحقق والتأكيد[100]: "قدر، جعل، أفاء، أظهر" فضلا عن صياغة تلك الأفعال في قالب التعدي ذي الدلالة على الفاعلية[101]؛ لتأكيد قدرة الله تعالى في تقدير الأيام دولا والإفاءة على عباده المخلصين وجعل العاقبة لهم وإظهار الدين على غيره.

واعتمد في بناء الفواصل الأربع التالية على إعادة التصدير باسم الفاعل ذي الدلالة على القدرة والفاعلية ومثل تكراره تأكيدا عليها: "القاهر، الظاهر، الآمر، الحاكم". وأكد القدرة بأكثر من وسيلة، منها: تكرار القالب التركيبي: "فلا يمانع، فلا ينازع، فلا يراجع، فلا يدافع" وذلك بتكرار النفي، كما يؤثر تكرار الصيغ "الفاعل فلا يفاعل" صوتيا في آذان المتلقين مما يستدعي تعلق الدلالة على القدرة في أذهانهم، وأسهم انطواء الفواصل على صوت العين ذي الوضوح السمعي[102] على تعزيز ذلك التعلق. وبصياغة الأفعال في صيغة المضارع الدال على الاستمرار[103] مما يضفي على القدرة إطلاقا ممتدا في الزمن دون انقطاع أو نوبات فتور. وبصيغة المفاعلة المسبوقة بالنفي لنفي إمكانية مشاركة[104] الله في قدرته ونفي الندية له وتكرار النفي يؤكد الانتفاء المطلق لتلك المشاركة، وببناء تلك الصيغة للمفعول لتعظيم قدرة الله تعالى[105]. كما أكدها بالترادف الدلالي بين أوائل الفواصل وأواخرها: *"القاهر فلا يُمانَع، الظاهر فلا يُنازَع، الآمر فلا يُراجَع، الحاكم فلا يُدافَع"*.

وكما بدأ الخطيب تحميداته بلفظ الحمد المصاغ في قالب الجملة الاسمية الخالية من الزمن الدالة على الاستقرار والثبوت[106] مما يعكس ثبوت الحمد في الزمن: "الحمد لله"، ختمها به أيضا وهنا صاغه في قالب المضارع الدال على الاستمرار: "أحمده حمدَ"؛ ليعبر بالثبوت والاستمرار عن شمول الحمد كل الأزمنة، وأكد الحمد بتكرار مادته اللغوية أربع مرات: "الحمد، أحمده، حمد، الحمد"؛ ليلح بهذا التأكيد على دلالة نسبة نصر المسلمين وتحرير بيت المقدس لله تعالى، والإلحاح على حمده على هذا النصر. وأتبع الخطيب فعل الحمد ببعض الأسباب التي حمد الله عليها: "إظفاره، إظهاره، إعزازه، نصره، تطهيره بيته

المقدس"، ووضع تلك الأسباب في بؤرة اهتمام المتلقي بوسيلتين، الأولى: الطول الخطي الذي أسهم فيه العطف مما يستدعي احتلال الأسباب مساحة لا بأس بها في ذهن المتلقي، والثانية: تأخير المفعول المطلق "حمد" ليحيط الحمد بتلك الأسباب من الجهتين وذلك تأكيد لما سبق من نسبة النصر إلى الله وهو ما استحق به الفاتحون الحامدون أن يكونوا عباد الله المخلصين، وللإلحاح على تلك الدلالة عمد الخطيب في الفاصلة الأخيرة: "حمدَ من استشعر الحمدَ باطنُ سره وظاهر جهاره" إلى تقديم المفعول "الحمد" لأهميته[107] وتأخير الفاعل وعطف عليه المقابل الدلالي له: "باطن، ظاهر– سر، جهر" للتعبير عن شمول الحمد كل الأحوال[108]. واللافت للنظر أن الأسباب الأربعة الأُول دالة على عموم نصر الله المسلمين وأساس هذا النصر هو فتح بيت المقدس والسيادة عليه وتطهيره من دنس الصليبيين، ولذا فإن إفراد الخطيب السبب الخامس: "تطهيره بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره" يعد إطنابا عن طريق ذكر الخاص بعد العام، وهذا الذكر الخاص لبيت المقدس وتطهيره ينبه على فضله[109]. ولهذا الفضل اختار الخطيب من معجمه لفظ التطهير دون التنظيف أو التنقية لتضمنه الدلالة على غاية التنظيف مع الحماية من الدنس، وتضمنه أيضا دلالة عرفية على إزالة الكفر وأحقاد القلوب[110] وهو ما يعكس تطهير مظاهر الدنس المحسوسة من حوانيت الخمور التي انتشرت ببيت المقدس ودماء القرابين التي ذبحت لغير الله على الصخرة المقدسة، وتطهير مظاهر الدنس المعنوية من الشرك بالله سبحانه: "أدناس الشرك وأوضاره"، وإضافة الأدناس إلى الشرك يوحي بعلاقة التلازم بينهما وكرر الخطيب تلك العلاقة بعطف الأوضار على الأدناس وهما مترادفان مؤكدا على ذلك التلازم بوجود تلك الأدناس بشقيها في بيت المقدس أثناء اغتصاب الصليبيين له وهو ما استحق تحريره من أيديهم، ويستحق في الوقت الحالي تحريره أيضا من أيدي العصابات الصهيونية للتلازم بين اغتصابها له وأدناس الشرك. وصاغ الخطيب لفظ التطهير في قالب المصدر: "التفعيل" للدلالة على المبالغة[111] في إخراج الأدناس وتكرار تلك العملية.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

وقد اعتمد الخطيب في بناء كلمات الفواصل على التأثير في المتلقين بثلاث وسائل صوتية، الأولى: انطواء الفواصل على الأصوات المتوسطة: "ر، ل، ع"[112]، وهي أصوات ذات وضوح سمعي[113]، والثانية: النبر على المقطع قبل الأخير: "نَصْ، عَدْ، ما، ها"[114] وللنبر هنا تأثير صوتي تمثل في وضوح المقطع سمعيا وتأكيد دلالي لكلمة الفاصلة، والثالثة: بناء المقطع الأخير على النوع الثالث من المقاطع وبناء المقطع المنبور قبله على المقطعين من النوع الثالث والثاني[115]، وهذان المقطعان لهما نسبة وضوح في السمع أيضا، وبتلك الوسائل نجد وضوحا لكلمات الفواصل عموما. ومن شأن ذلك الوضوح ضمان وصول ما أراده الخطيب إلى أذهان متلقيه من وجوب حمد الله على توفيقهم في فتح بيت المقدس وتطهيره من أدناس الشرك، ونسبة النصر إلى الله تعالى الذي أعزهم بذلك النصر.

استحقاق السيادة على بيت المقدس بإخلاص العبادة

بعد حمد الله انتقل الخطيب إلى الركن الأول من أركان الإسلام وهو الشهادة بوحدانية الله تعالى وألوهيته، والشهادة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه عبد لله. ثم ذكر الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم. ويظهر من هذا الجزء من الخطبة استحقاق الفاتحين الصلاحيين السيادة على بيت المقدس لكونهم من عباد الله تعالى المخلصين؛ وذلك من عدة أمور، الأول: صحة عبادتهم الله تعالى بالتوحيد وتنزيهه عن الشرك وعن المثل والولد وتعظيمه بذكر معجزتين من معجزات قدرته وهما الإسراء والمعراج، والثاني: صحة المذهب بتوقير صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم وعليهم رضوان الله تعالى وعدم المغالاة بالتشيع لأحدهم كما فعلت الفرق الضالة، ويضاف إلى ذانك اتباعهم أوامر الله ورسوله ونهج صحابته في الجهاد في سبيل الله وتطهير بيت المقدس من الشرك ومظاهره. والثالث: ارتباط معجزتي الإسراء والمعراج ببيت المقدس وهذا الارتباط مظهر من مظاهر أهميته لدى المسلمين.

وتظهر الدلالات السابقة من عدة ظواهر لغوية اعتمدها الخطيب، منها: استخدام الفعل المضارع: "أشهد" الدال على الدوام والاستمرار للتعبير عن دوام الاعتقاد في

وحدانية الله وأكد ذلك بالتكرار عن طريق ذكر مرادفين دلاليين لكلمة التوحيد، وهما الحال الدالة على ثبات الوحدانية[116]: "وحده"، والنفي المطلق لجنس الشريك: "لا شريك له". والفصل بين الفعل: "أشهد" وبين المفعول المطلق: "شهادة" بفاصل كبير يحتل مساحة في أذهان المتلقين ويضعه في بؤرة الاهتمام: "الأحد الصمد، الذي {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ}[117]؛ شهادةَ مَنْ"، وتضمن الفاصل اسمين من أسماء الله تعالى: "الأحد الصمد" وهما متضمنان جميع أوصاف الكمال[118]، وأكد كمال الأوصاف بالتفصيل[119] بعدها من الآيتين الكريمتين وذلك بنفي الولد والوالد والشبيه والنظير، وتأكيد الإقرار بوحدانية الله تعالى وباتصافه تعالى ذكره بصفات الكمال يكشف عن إخلاص الفاتحين العبادة لله. ومنها: إتباع الشهادة بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم بالإطناب المعظم[120] للرسول صلى الله عليه وسلم وعمله في نشر دين الله وإزالة الشرك، والمعظم لمعجزتين من المعجزات التي ارتبطت به وببيت المقدس وهما الإسراء والمعراج، واعتمد الخطيب في إطنابه على وسيلتين، الأولى: تعدد المعطوفات: "رافعُ الشك، وداحض الشرك، وراحض الإفك" واعتمد فيها على صيغة اسم الفاعل للدلالة على فاعلية الرسول صلى الله عليه وسلم في إزالة الشرك وكرر تلك الصيغة للتأكيد على تلك الفاعلية، والثانية: الموصول وصلته وما عطف على الصلة مما أوجد طولا خطيا: "الذي أُسري به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصا، وعُرج به منه إلى السموات العلا، إلى سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى}[121]." ومن شأن هذا الطول الخطي شغل مساحة لا بأس بها في أذهان المتلقين واستغراق مدة زمنية مماثلة يستحضر فيها الذهن معجزتي الإسراء والمعراج ويتخيلهما وهو ما يستدعي الإقرار بعظمة الله تعالى وعظمة رسوله صلى الله عليه وسلم وعظمة المسجد الذي أسري به إليه وعرج به منه إلى السموات، وألح على دلالة التعظيم ببناء الفعلين للمفعول: "أسري، عرج"، وأسهمت الإشارة إلى المسجد الأقصى الماثل أمام أعينهم: "هذا" في الانتقال من الاستحضار الذهني لمعجزتي الإسراء والمعراج إلى المشاهدة العينية لمكان حدوثهما وهو المسجد الأقصى الذي أنعم الله عليهم بفتحه وتطهيره والسيادة عليه إنعاما ينسيهم ما

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

كابدوه في الجهاد من أجله، ولعل ذلك الانتقال من الصورة المتخيلة إلى المعاينة معبر عن حال المسلمين قبل فتح بيت المقدس وبعده؛ إذ غابت عنه الأنظار مدة احتلال الصليبيين له ثم تنعمت برؤيته بعد استرداده منهم، وكأن لسان حال الخطيب الذي وجه أنظار الفاتحين إليه يقول: تلذذوا برؤيته فهو مكافأة إخلاصكم العبادة لله وجهادكم في سبيله. ومن اللافت للنظر أن الخطيب وضع كلمة: "الأقصى" آخر الفاصلة الأولى وأقام عليها بقية كلمات الفواصل بعدها: "العلا، المنتهى، المأوى" مما أقام بينها علاقة ارتباط صوتية تعزز ارتباط المسجد الأقصى بمعراج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى السموات.

ومنها: الإطناب في ذكر الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم إقرارا بفضلهم وقيامهم على نشر دين الله تعالى في أرضه، واعتمد الخطيب في إطنابه الموضح صحة المذهب على ذكر الألقاب لتعظيم فضلهم[122]: "وعلى خليفته أبي بكر الصديق، وعلى أمير المؤمنين عمر، وعلى أمير المؤمنين عثمان، وعلى أمير المؤمنين علي"، وأعاد ذكر حرف الجر: "على" لتأكيد تعدي الفعل: "صلى" إليهم جميعا، واعتمد أيضا على الوصف للتعبير عن لزومه الخلفاء الأربعة والتأكيد على وصفهم المذكور[123]: "السابق إلى الإيمان، أول من رفع، جامع القرآن، مزلزل الشرك ومكسر الأوثان" وصاغه في صيغة اسم الفاعل دون الفعل الماضي لتضمنه الحدث المطلق وفاعله معا[124] وهو ما يشير إلى الارتباط الوثيق بين أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، رضوان الله عليهم جميعا وبين السبق إلى الإيمان، والسبق إلى فتح بيت المقدس وتطهيره، وجمع القرآن، وتحطيم الأوثان وإزالة مظاهر الشرك. وأثناء تعظيم الخطيب فضل عمر رضي الله عنه وفضل المسلمين الأوائل بإعادة بيت المقدس إلى سيادة عباد الله المخلصين وتطهيره من صلبان الشرك مما يعد استدعاء للفتح العمري لبيت المقدس: "وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان"؛ عزز الخطيب ذلك الاستدعاء بإعادة الإشارة: "هذا" لتوجيه المتلقين إلى إنعام النظر إلى المسجد الأقصى الذي أعادوه إلى الإسلام وطهروه من أدناس الشرك كما فعل أسلافهم الأوائل مما يشير إلى أنهم على نهج الرسول وصحابته ومقياس ذلك النهج هو الجهاد من أجل المسجد الأقصى مما يكشف أهميته لدى المسلمين.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

منزلة بيت المقدس وأهميته

بعد الشهادة وجه الخطيب خطابه إلى الفاتحين الصلاحيين مبشرا إياهم برضا الله تعالى لإخلاصهم الجهاد في سبيله واسترداد بيت المقدس من أيدي الصليبيين الذين دنسوه بشركهم. وعظم الخطيب جهاد الفاتحين في هذا الجزء من الخطبة بتذكيرهم بعظمة بيت المقدس وأهميته، وذكر من جوانب تلك الأهمية: أنه بني زمن التوحيد الأول بعد بناء الكعبة المشرفة وذلك مفهوم من: "ثاني المسجدين"، وموطن أبي الأنبياء إبراهيم صلى الله عليه وسلم، ومسرى خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم ومعراجه إلى السموات، ومكان صلاته بالملائكة والأنبياء، والقبلة الأولى لصلاة المسلمين قبل تحولها إلى الكعبة المشرفة، ومقر أنبياء الله ومقصدهم ومفرهم ومهبط الوحي والرسالات عليهم، وضمن أرض المحشر، وضمن الأرض التي قدسها الله وبارك فيها وذكرها في قرآنه الكريم، ومبعث عيسى صلى الله عليه وسلم، والمسجد الثالث الذي تشد إليه الرحال بعد الحرمين الشريفين.

وأبرز الخطيب تلك المنزلة لبيت المقدس وأكدها بعدة وسائل لغوية، منها: التمهيد بالنداء: "أيها الناس" لتنبيه الحضور وجذب انتباههم[125] على اعتبار ذلك مؤشرا على أهمية ما سوف يخاطبهم به، ثم أعقبه بالبشرى برضا الله تعالى: "أبشروا برضوان الله" لتهيئتهم لتلقي الخطاب في حال من السرور، والترقب لذكر سبب الفوز برضا الله، ثم أتى الخطيب بما ترقبوا سماعه بعد فاصل ذي طول نسبي[126]: "لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة من الأمة الضالة" ومن شأن ترقب المتلقين والوصول إلى ما ترقبوا سماعه ضمان تفاعلهم مع الخطيب، وزاد من التفاعل بتقديم: "على أيديكم" لتخصيصهم بتيسير الله دون غيرهم[127]، كما اعتمد على التأثير الصوتي عليهم المنشط للذهن بالجرس الموسيقي النابع من الجناس التام بين: "الضالة، الضالة"[128]. وألح الخطيب على تأكيد أحقية المسلمين في السيادة على بيت المقدس دون غيرهم من دلالة: "الضالة" على غياب شيء كان منتميا أو مملوكا للمسلمين، ودلالة: "الاسترداد" على إعادة المسلمين شيئا كان لهم في الأصل، وكرر مادتها اللغوية: "ردها" فضلا عن عطف جملة مرادفة: "وردِّها إلى

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

مقرها من الإسلام" لتأكيد كون بيت المقدس لهم في الأصل. كما أكد الأحقية بالمقابلة بين حال بيت المقدس تحت سيادة المسلمين وحاله تحت سيادة الصليبيين عن طريق المقابلة الدلالية بين: "التطهير والابتذال" من قوله: "بعد ابتذالها في أيدي المشركين قريبا من مائة عام. وتطهيرِ هذا البيت الذي أذن الله أن يرفع وأن يذكر فيه اسمه، وإماطة الشرك عن طرقه بعد أن امتد عليها رواقه واستقر فيها رسمه" وألح على التأكيد بعطف المرادف للتطهير: "إماطة الشرك"، وأسهم اسم الإشارة: "هذا" في تأكيد تلك المقابلة عن طريق مشاهدة المتلقين العينية لمظاهر الابتذال عند الفتح والمشاهدة العينية الآنية لمظاهر التطهير عند سماعهم قول الخطيب، ولدلالة الإشارة على مشار إليه قريب للعيان وهو بيت المقدس فذلك يعد ردا على ادعاء بعض الفرق الضالة وجوده في السماء[129].

وبعد التمهيد الذي ضمن به الخطيب تفاعل المتلقين معه وأكد فيه أحقية المسلمين في السيادة على بيت المقدس، انتقل إلى إبراز أسباب أحقيتهم في السيادة عليه وهذه الأسباب لا تنفصل عن جوانب عظمة بيت المقدس وأهميته، وبدأ بإبراز بناء بيت المقدس المرتبط ببدء الإنسان على الأرض باستدعاء رفع قواعده كما جاء عن أبي ذر رضي الله عنه: *"قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: «المَسْجِدُ الحَرَامُ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ «المَسْجِدُ الأَقْصَى» قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ، فَإِنَّ الفَضْلَ فِيهِ»"*[130]، ثم أبرز ارتباطه بانتهاء الإنسان على الأرض بإبراز كونه ضمن أرض المحشر كما جاء في مسند أبي يعلى الموصلي: *"«هُوَ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَأَرْضُ الْمَنْشَرِ ائْتُوهُ فَصَلُّوا فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاةً فِيهِ كَأَلْفِ صَلَاةٍ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَتَحَمَّلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَأْتِيَهُ فَلْيُهْدِ إِلَيْهِ زَيْتًا يُسْرَجُ فِيهِ، فَإِنَّ مَنْ أَهْدَى إِلَيْهِ زَيْتًا كَانَ كَمَنْ قَدْ أَتَاهُ»"*[131]؛ ليوحي بارتباطه ببدء حياة الإنسان وانتهائها بشمول عظمته وأهميته من البدء حتى الانتهاء مرورا بكل العصور، وأبرز أهميته في البدء بتعظيمه النابع من عظمة وسيلة البناء وآلته: "بالتوحيد، بالتمجيد، التقوى"، وأكد ذلك بالإطناب "فإنه بني عليه، فإنه أسس على التقوى" المتضمن "إن" المؤكدة[132] وكررها للإلحاح على التأكيد، وبتعظيم الباني والمؤسس:

"بني، أسس" ببناء الفعلين للمفعول. وأبرز أهميته في الانتهاء بإعادة ذكره بالضمير المنفصل: "وهو في أرض المحشر"، واختياره: "في" دون: "عند" للتعبير عن محليته[133] داخل أرض المحشر مما يرفع الوهم عن قربه منها وعدم دخوله فيها، وأكد المحلية بعطف المرادف: "وصعيد المنشر".

وبين البدء والانتهاء أبرز الخطيب جوانب أخرى من أهميته بعدة وسائل لغوية، منها: تذكير المتلقين بأنه كان موطن إبراهيم صلى الله عليه وسلم: "فهو موطن أبيكم إبراهيم" وهذا التذكير من شأنه استدعاء الموروث الإسلامي المعظم لمكانة خليل الرحمن عند الله وعند المسلمين وتلك المكانة تنسحب على المكان الذي اختاره الله تعالى لخليله وهو بيت المقدس، واختار الخطيب: "أبيكم إبراهيم" دون نبيكم وأضافه إلى ضمير المتلقين لإبراز علاقة النسب بينه وبينهم بجانب علاقة النبوة المعلومة بمجرد ذكره صلى الله عليه وسلم وهو ما يزيد الارتباط بينه وبين المسلمين وهم أولى به عن غيرهم ممن لم يتبعه كما جاء في قوله تعالى: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ}[134]، وإبراز تلك العلاقة معبر عن استحقاقهم السيادة على بيت المقدس والحفاظ عليه عن غيرهم، وأتبع الخطيب ذكر خليل الرحمن أبي الأنبياء إبراهيم صلى الله عليه وسلم بذكر خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم: "*ومعراج نبيكم محمد عليه السلام*" ليعبر بذكر أبي الأنبياء وخاتمهم عن شمول استحقاقهم السيادة عليه كل الأزمنة[135]. ومنها: التذكير بكون بيت المقدس أول القبلتين: "*وقبلتكم التي كنتم تصلُّون إليها في ابتداء الإسلام*"، وفي هذا التذكير أضاف القبلة إلى الضمير العائد على المتلقين الفاتحين ونسب إليهم الصلاة إليه في ابتداء الإسلام وذلك موافق للواقع الديني ومخالف للواقع الزمني؛ إذ تنسب القبلة الأولى والصلاة إليها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين الأوائل، ومخالفة الخطيب الواقع الزمني فيه إيحاء بأن الفاتحين الصلاحيين امتداد للمسلمين الأوائل وتعبير عن اتصال نهج الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم بالمسلمين الفاتحين في كل العصور، وأعاد الخطيب التذكير بالقبلة الأولى قبل انتهاء هذا الجزء من الخطبة: "وهو أول القبلتين" لتأكيد منزلته؛ إذ جعله الله تعالى القبلة

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

الأولى للركن الثاني من أركان دينه القويم في بدء بعثة خاتم أنبيائه ورسله عليه وعليهم الصلاة والسلام.

ومنها: تكرار الخطيب ذكر بيت المقدس عن طريق الضمائر المتصلة العائدة عليه: "قواعده، فإنه، بنيانه، فإنه، خلفه، يديه، قبلتكم، تصلون إليها، ذكرها الله، صلى فيه، بعث الله إليه، لا تشد إلا إليه، لا تعقد إلا عليه" للاستلذاذ بذكره والرغبة في اتصال بقائه في أذهان المتلقين[136]، وأكد الرغبة في هذا البقاء في أذهانهم بتكرار الضمير المنفصل: "*فهو موطن، وهو مقر، وهو في أرض المحشر، وهو في الأرض المقدسة، وهو البلد، وهو المسجد، وهو أول القبلتين*" فضلا عن التعظيم النابع من الإشارة إليه بضمير الغياب وهو ماثل أمام أعينهم[137]. كما كرر ذكره عن طريق تكرار صيغة اسم المكان: "موطن إبراهيم، معراج محمد، مقر الأنبياء، مقصد الأولياء، مفر الرسل، مهبط الوحي، منزل تنزل الأمر والنهي، مسجد" لإبراز العلاقة بين الملائكة والأنبياء والرسل والأولياء وبين بيت المقدس وهي حلولهم فيه حلولا دائما: "موطن، مقر" أو غير دائم: "معراج، منزل"، ومن شأن تلك العلاقة إعمال الذهن في سبب اختيار صفوة خلق الله بيت المقدس وجهة لهم وهو ما يكشف عن قدسيته وأهميته.

ومنها: قصر شد الرحال على المسجد الأقصى ببيت المقدس بعد المسجد الحرام بمكة المكرمة ومسجد الرسول بالمدينة المنورة وهو ثالثهم؛ دون غيره من المساجد: "لا تُشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه" وهو من القصر الحقيقي بـ"لا، إلا" الذي ينفي شد الرحال عن غيره من المساجد بعد الحرمين الشريفين، ويمكِّن تلك الدلالة ويقررها في ذهن المتلقي[138]، وأكد الخطيب اختصاص الأقصى بذلك بعد الحرمين دون غيره بعدة وسائل منها: التضمين[139] بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "*لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ: مسجدِ الحرامِ، ومسجدِي هذا، والمسجدِ الأقصى*"[140]، وبتكرار أسلوب القصر في قالب العطف ذي الدلالة على الترادف مع جملة المعطوف عليه: "*ولا تعقد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه*"، وألح على تأكيد قدسيته وأهميته وتثبيت ذلك بالكناية[141] عن الاتفاق على الحفاظ عليه بعقد الخناصر[142]، كما أسهمت صورة عقد الخناصر في إبراز

الجانب العملي للاتفاق والحفاظ عليه وذلك موضح للجدية، وحشد المؤكدات السابقة لتأكيد اختصاص الأقصى بشد الرحال من شأنه إبراز أهميته وقدسيته بعد الحرمين الشريفين.

وفي هذا الجزء من الخطبة عاد الخطيب إلى الإشارة إلى استحقاق الفاتحين المسلمين السيادة على بيت المقدس عن طريق التعريض بالصليبيين الذين جعلوا من نبيهم إلها افتراء على الله تعالى، وهذا التعريض بهم ينفي عنهم الاستحقاق في السيادة على بيته المقدس، وألح الخطيب على ذلك بتأكيد ضلالهم وكفرهم ووضع عيسي صلى الله عليه وسلم موضعه من النبوة والعبودية لله بعدة وسائل، منها: التدليل بالآيات الشريفة. وتأكيد ضلالهم بالمفعول المطلق وتبيين غاية الضلال بالوصف[143]: "وضلوا ضلالا بعيدا". وتأكيد عبوديته لله ونبوته بتكرار الألفاظ الدالة عليهما: "*عبده ورسوله، شرفه الله برسالته، كرمه بنبوته، لم يزحزحه عن رتبة عبوديته*".

تشريف الفاتحين باسترداد بيت المقدس، وفضل بيت المقدس عليهم

بعد ذكر الخطيب بعضا من جوانب منزلة بيت المقدس وأهميته انتقل إلى استثمار تلك الأهمية في تشريف الفاتحين الصلاحيين بفتحهم بيت المقدس؛ إذ تشريف المستردِ حسب منزلة المستردَ، وهو ما يبرز حاجة المسلمين إليه لنيل شرف السيادة عليه وشرف الجهاد في سبيل الله الذي قدس هذا البيت وبارك ما حوله. ومن حيثيات التشريف التي ذكرها الخطيب: تخصيص الله تعالى لهم بفتح بيت المقدس على أيديهم واصطفاء الشهداء منهم وإثابته إياهم على جهادهم في سبيله، وهي نعم توجب عليهم حمد الله عليها. وربطُ فتحهم بيت المقدس بغزوات الرسول صلى الله عليه وسلم والفتوحات الإسلامية الأولى التي نشر بها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته –رضوان الله عليهم جميعا– دين الله في أرضه وجاهدوا ملل الشرك والكفر من مشركي العرب واليهود والمجوس ونصارى الروم والمرتدين والخوارج، وهذا الربط يضع استردادهم بيت المقدس في مرتبة تلك الفتوحات ويجعل منهم امتدادا لصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم. وإضفاء الخطيب على التهاني والابتهاج باسترداد بيت المقدس صفة العموم فهي تشمل السماء والأرض.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

ولارتباط تشريف الفاتحين الصلاحيين بمنزلة بيت المقدس ألح الخطيب على تذكيرهم بجوانب أخرى من جوانب منزلته، منها: تعظيم الملل له. وثناء الرسل عليه. وإمساك الله الشمس عن الغروب ليتمكن يوشع عليه السلام من فتحه وهو مضمون الحديث الشريف: "*إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت القدس*"[144]. وتليت فيه كتب الله المنزلة. وأمر الله تعالى نبيه موسى صلى الله عليه وسلم ومن معه باستنقاذه من جباري زمانهم لمنزلته فكان جوابهم: {قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}[145]، فاستحقوا عقاب الله تعالى لتقاعسهم ومعصيتهم أمر الله وأمر نبيه. كما أعاد تذكيرهم بذكر الله تعالى له في كتابه العزيز وبمعجزتي الإسراء والمعراج.

وقد أشار الخطيب إلى جانب من جوانب منزلة بيت المقدس وهو أن الله جعله سببا لجمع الفاتحين المسلمين كلمتهم على الجهاد في سبيله بعد تناحرهم من أجل الأمور الدنيوية، ولتوحيد صفوفهم بعد تفرقهم.

وقد أبرز الخطيب التشريف ومنزلة بيت المقدس وفضله على الفاتحين بعدة وسائل لغوية، منها: الإطناب في التعبير عن اختيار الله تعالى الفاتحين الصلاحيين من عباده لينالوا فضيلة استرداد بيت المقدس: "*ولولا أنكم ممن اختاره الله من عباده*" بالمرادف الدلالي عن طريق العطف: "*واصطفاه من سكان بلاده*" وهو مؤكد لاصطفاء الله لهم. والإطناب في وصف الفضيلة بالموصول وصلته: "*خصكم بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم فيها مجارٍ*" وتضمنت جملة الصلة تخصيص الفاتحين بفضيلة الفتح عن طريق نفي المشاركة فيها وبتقديم الضمير العائد عليها على الفاعل: "فيها"، وكرر القالب التركيبي لجملة الصلة بالعطف: "*ولا يباريكم في شرفها مبار*" والترادف الدلالي بين جملة المعطوف والمعطوف عليه لتأكيد تخصيصهم بفضيلة الفتح ونفي المشاركة والمنافسة فيها، وألح الخطيب على تأكيد تخصيصهم بفضيلة الفتح بتقديم شبه الجملة المتضمنة ضميرا عائدا على الفاتحين على الفاعل: "*ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية*"، وبإعادة ذكر لفظ التخصيص

وإتباعه بالمرادف الدلالي عن طريق العطف: "*فله المنة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة، وترشيحكم لهذه الخدمة*".

ومنها: شغل مساحة لا بأس بها في أذهان المتلقين باستدعاء الفتوحات الإسلامية الأولى التي كانت جهادا ضد جميع ملل الكفر من أجل نشر دين الله واعتمد على الإطناب بالعطف لتفصيل تلك الفتوحات إلحاحا على استدعائها: "*ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية، والوقعات البدرية، والعزمات الصديقية، والفتوح العمرية، والجيوش العثمانية، والفتكات العلوية، جددتم للإسلام أيام القادسية، والوقعات اليرموكية، والمنازلات الخيبرية، والهجمات الخالدية*"، وهذا الاستدعاء المفصل يعد تشريفا لهم بأنهم على نهج الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته وسبب التشريف هو استردادهم بيت المقدس، واعتمد على التوازي بين مكونات الفواصل لإحداث أثر موسيقي يعزز الاستدعاء في أذهانهم، ومن اللافت للنظر أن الخطيب صاغ الجملة الأولى التي ربط بها بين استرداد بيت المقدس والفتوحات الإسلامية الأولى في قالب الخبر المعتمد على الفعل الماضي الدال على التحقيق: "*ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية*" دون التشبيه: فتح بيت المقدس كالفتوحات الإسلامية الأولى، ليخرج عن إمكانية وجود مفارقة بينهما[146] إلى تحقيق الاتفاق، بمعنى أن العدول عن التشبيه يوحي بأنه لا فرق بين الفتح الصلاحي لبيت المقدس والفتوحات الإسلامية الأولى وذلك يجعله أكثر لصوقا بتلك الفتوحات، وذلك اللصوق معبر عن صدق نهج الفاتحين واتباعهم جيل الإسلام الأول على اعتبار المسلمين أمة واحدة ضد ملل الكفر.

وبعد تمهيد الخطيب بوضع استرداد بيت المقدس في مرتبة الفتوحات الأولى انتقل إلى نتيجة هذا الوضع المتمثلة في الجزاء على الاسترداد مستثمرا الجزاء في تشريف آخر يستمد قيمته من عظمة المجازي سبحانه وتعالى: "*فجزاكم الله عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الجزاء، وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم في مقارعة الأعداء، وتقبل منكم ما تقربتم به إليه من مهراق الدماء، وأثابكم الجنة فهي دار السعداء*" وصاغ الخطيب الجزاء في الدعاء بالفعل الماضي: "جزاكم، شكر لكم، تقبل منكم، أثابكم" دون المضارع

لإضفاء تحقق الحدوث على الجزاء بإذن الله، وألح عليه بتكرار الدعاء، وبالمرادف الدلالي: "بذلتموه، تقربتم به"، وشموله جميع الفاتحين من شهداء وجرحى ومن لم يصب[147]: "من مهجكم، من مهراق الدماء"، وبتكرار المادة اللغوية للجزاء: "جزاكم أفضل الجزاء" وتبيين وصفه[148]: "أفضل" ليقابل أفضلية بيت المقدس المسترد بإذن الله. ولعلو هذا الجانب من جوانب تشريف الفاتحين دعاهم الخطيب إلى المحافظة على بيت المقدس سبب التشريف: "*فاقدروا- رحمكم الله- هذه النعمة حق قدرها، وقوموا لله تعالى بواجب شكرها*".

ولارتباط التشريف بأهمية بيت المقدس أعاد الخطيب إبراز جوانب أخرى من جوانب منزلته وقدسيته، منها: إبراز عظمة النتائج المتسببة عن فتحه: "*فهذا هو الفتح الذي فتحت له أبواب السماء، وتبلجت بأنواره وجوه الظلماء. وابتهج به الملائكة المقربون، وقر به عينًا الأنبياء والمرسلون*"، وأكد السبب وهو الفتح بضمير الفصل[149]: "هو" والحاجة إلى التأكيد نابعة من تعدد نتائجه وعظمتها، وإبراز عظمة الفواعل المتأثرين بفتحه: "الملائكة، الأنبياء والمرسلون"، والإشارة إليه: "هذا" لصحة تمييزه واستحضاره في الذهن بوضعه في نطاق المحسوسات[150]، وبناء الفعل للمفعول: "فتحت" لتعظيم فاعل النتيجة الأولى مما يضفي العظمة على سببها، وتقوية العلاقة المنطقية بإقامة علاقة صوتية بين السبب والنتيجة عن طريق الجناس: "الفتح، فتحت"، وقصر النتائج المتعددة على السبب بتقديم الضمير العائد على الفتح على الفواعل: "فتحت له، تبلجت بأنواره، ابتهج به، قر به"، وحلق الخطيب بخياله ليضفي على نتيجة التأثر بالفتح صفة العموم بشموله أهل السماء والأرض: "*فيوشك أن تكون التهاني به بين أهل الخضراء، أكثر من التهاني به بين أهل الغبراء*"، وفي هذا التعبير إشارة إلى أهمية الفتح وقدسية بيت المقدس عن طريق التخيل المعبر عن تأثر صفوة خلق الله من الملائكة أكثر من تأثر البشر عن طريق الكناية عن الطرفين: "أهل الخضراء، أهل الغبراء"، وبالغ الخطيب في التعبير عن اقتراب التخيل من التحقق بإسهام الكنايتين في إبراز شدة تأثر أهل السماء بالفتح عن أهل الأرض عن طريق التذكير بأفضلية أهل السماء بإثبات الكناية الأولى الأفضلية[151] بالتدليل عليها من

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

ارتباط اللون الأخضر في الأذهان بالخير والنماء، وإثبات الكناية الثانية دونية البشر عنهم بالتدليل عليها من ارتباط الغبار بالضرر، ولكن بقي كل ذلك دون الوقوع: "يوشك".

ومنها: الاعتماد في إبراز أهمية بيت المقدس وعظمته على الاستفهام وهو إشارة إلى تجاوز الخطيب إثبات أن استرداد بيت المقدس نعمة منَّ الله بها على الفاتحين الصلاحيين إلى مطالبتهم بالفعل المقابل للنعمة: "*فماذا له عليكم من النعمة بأن جعلكم الجيش الذي يفتح على يديه البيت المقدس في آخر الزمان*"، والاستفهام يضمن تفاعل المتلقين مع الخطيب فضلا عن شغل الأذهان بالتفكير في طرق مقابلة النعمة. وأكد العظمة بالاستفهام التقريري النابع من عدم جهل المتلقي بما استفهم عنه[152]: "*أليس هو البيت الذي ذكره الله في كتابه*"، وأسهم العدول عن الأسلوب الخبري إلى الاستفهام لتقرير أهمية بيت المقدس من جهة ذكر الله تعالى إياه في كتابه؛ في تفاعل المتلقين مع الخطيب والتفاعل أدعى إلى تقرير تلك الأهمية، وألح على أهميته من تلك الجهة بالمرادف الدلالي عن طريق العطف: "ونص عليه في خطابه"، وبإيراد دليل الذكر وهو الآية الأولى من سورة الإسراء التي تبرز أهمية بيت المقدس المكانية في معجزتي الإسراء والمعراج.

ويعد تكرار الخطيب للاستفهام التقريري إلحاحا على إبراز منزلة بيت المقدس وتقرير تلك المنزلة في أذهان المتلقين على اعتبار أنها حقيقة لا جدال فيها: "أليس هو البيت الذي عظمته الملل؟ .. أليس هو البيت الذي أمسك الله عز وجل لأجله الشمس على يوشع أن تغرب؟ .. أليس هو البيت الذي أمر الله موسى أن يأمر قومه باستنقاذه فلم يجبه إلا رجلان؟". واعتمد الخطيب في هذا التقرير على التذكير بارتباط بيت المقدس بمعجزات الله تعالى الخارقة لقوانين الطبيعة التي اعتدادها البشر ومنها معجزتا الإسراء والمعراج، ومعجزة إمساك الله الشمس عن الغروب لأجل فتح بيت المقدس وقصر تلك المعجزة على بيت المقدس عن طريق تقديم المجرور المتضمن ضميرا عائدا عليه على المفعول: "أمسك الله عز وجل لأجله الشمس".

وأبرز الخطيب فضل بيت المقدس على المسلمين الفاتحين بعدة وسائل، منها: المقابلة الدلالية بينهم وبين بني إسرائيل زمن موسى صلى الله عليه وسلم وخلوصها لصالح

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

الفاتحين الصلاحيين، ولكون المقياس في المقابلة هو اتباع أوامر الله تعالى في الجهاد من أجل بيت المقدس فتحقيق المقابلة لأفضلية الفاتحين الصلاحيين- الذين استجابوا بالفعل لنداء بيت الله المقدس واستردوه وطهروه- على بني إسرائيل الذين تقاعسوا وعصوا أمر الله؛ معبر عن فضل بيت المقدس على الفاتحين في تحقيق تلك الأفضلية: "أليس هو البيت الذي أمر الله موسى أن يأمر قومه باستنقاذه فلم يجبه إلا رجلان[153]، وغضب عليهم لأجله فألقاهم في التيه عقوبة للعصيان. فاحمدوا الله الذي أمضى عزائمكم لما نكلت عنه بنو إسرائيل وقد فضلهم على العالمين"، وعزز أفضلية الفاتحين على اليهود في المقابلة بذكر عدد من استجاب لأمر نبيه منهم: "رجلان" وهو عدد لا يقاس بحشود الفاتحين المسلمين، وبالمفارقة بين تفضيل الله بني إسرائيل على العالمين قبل الإسلام: "وقد فضلهم على العالمين" وبين عصيانهم أمر الله وتقاعسهم وجبنهم: "نكلت"، وعمق تلك المفارقة بتأكيد الطرف الثاني وهو التفضيل بـ: "قد"[154]، وهذه المفارقة تعبر عن أن الفاتحين المسلمين في مرتبة أعلى في الفضل من صفوة اليهود[155] بالواقع الفعلي لجهادهم وتطهيرهم مقياس التفضيل بيت المقدس. ومن اللافت للنظر أن الخطيب قد اعتنى بالتعبير عن أفضلية الفاتحين الصلاحيين على اليهود بتعميم أفضلية الفاتحين الصلاحيين على جميع من تقاعس عن استرداده ممن سبقهم من الأمم على اختلافهم: "ووفقكم لما خذل فيه من كان قبلكم من الأمم الماضين"، وذكره العام: "الأمم الماضين" بعد الخاص: "بنو إسرائيل" يعد تأكيدا[156] على أفضلية الفاتحين الصلاحيين عليهم.

ومنها: قصر جمع الله كلمة الفاتحين الصلاحيين على بيت المقدس مما جعله السبب الوحيد لجمعهم، وذلك بتقديم شبه الجملة المتضمنة ضميرا عائدا عليه على المفعول: "جمع لأجله كلمتكم"، وأكد ذلك القصر بالتعبير عن ثبوت فضل بيت المقدس في جمع كلمة المسلمين الفاتحين على اعتباره نقطة الفصل بين التشتت والجمع وذلك بالمقابلة[157] بين حالهم من الشتات والتفرق قبل التوجه للفتح وبين الاجتماع من أجل الفتح: "جمع، شتى". وألح الخطيب على تأكيد فضله عليهم بالتكرار الدلالي لتقرير ذلك الفضل في أذهانهم وذلك باعتباره نقطة الفصل بين ما كانوا عليه من الاقتتال الداخلي من أجل

المصالح الدنيوية[158] مدة مستغرقة في الزمن: "أن كنتم" وبين ما صاروا عليه من نيل شرف إضافتهم إلى الضمير العائد على الله تعالى: "وجعلكم بعد أن كنتم جنودا لأهويتكم جنده"، وعدل الخطيب أفقيا بالمفعول والضمير المضاف إليه: "جنده" ليضعهما في بؤرة اهتمام المتلقين باحتلال كلمة الفاصلة، ويكون آخر ما يقرع أسماعهم منها إضافتُهم إلى الضمير العائد على الله تعالى، ومن شأن هذا العدول زيادة تقرير فضل بيت المقدس عليهم إذ حولهم من الاقتران بالأهوية: "أهويتكم" إلى جند الله تعالى. كما ألح على تقرير ذلك الفضل بالإطناب المفصل للعلاقة المنطقية المتمثلة في أسباب كونهم جند الله الذين طهروا بيت المقدس من الشرك والأدناس وإماطة الأذى عن طرق الملائكة والنتائج المترتبة عليها من استغفار الملائكة لهم والصلاة عليهم وذلك غاية الفضل من الله تعالى: "*وشكركم الملائكة المنزلون على ما أهديتم إلى هذا البيت من طيب التوحيد، ونشر التقديس والتمجيد والتحميد. وما أمطتم عن طرقهم فيه من أذى الشرك والتثليث، والاعتقاد الفاجر الخبيث. فالآن تستغفر لكم أملاك السموات، وتصلي عليكم الصلوات المباركات*"، ودعم تقرير فضل بيت المقدس عليهم بقصر استغفار الملائكة لهم دون غيرهم والصلاة عليهم تعظيما لجهادهم في استرداده وذلك بتقديم الضمير العائد عليهم على الفاعل: "أملاك" والمفعول به: "الصلوات" وتضمن القصر إشارة إلى نقطة الفصل الزمني بيت المقدس بين حالهم قبل الفتح وبعده: "فالآن". ودعم القصر بربط النتيجة: "استغفار الملائكة لهم وصلاتهم عليهم" بالسبب: "تطهيرهم بيت المقدس" عن طريق صورتين اعتمد فيهما على تقابل طرفي التشبيه في الأولى منهما لطرفي التشبيه في الثانية: "إهداء طيب التوحيد، وإماطة أذى الشرك" وللتقابل أثر في تقرير السبب المتمثل في مظاهر التطهير من إهداء الطيب وإماطة الأذى، ودعم ذلك التقرير بالإيحاء بلصوق الطيب الذي قدموه هدية لبيت المقدس بالتوحيد، ولصوق الأذى الذي أحدثه الصليبيون بالشرك؛ عن طريق نزع أداة التشبيه[159]. وأدخل فيهما المعقولات: "التوحيد، التقديس، التمجيد، التحميد"، و"الشرك، التثليث، الاعتقاد الفاجر الخبيث" في عالم المحسوسات: "طيب، نشر"، و"أذى" لتكون تلك المعقولات أكثر إدراكا في الأذهان[160] وهو ما أسهم

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

في تقرير النتيجة شكر الملائكة لهم بسبب جهادهم، كما يمثل إدراك المعقولات بالحس مناسبة لحال مكان الخطبة بيت المقدس الذي تنبعث منه الروائح العطرة الناتجة عن تطهيره بماء الورد على أيديهم من دنس الصليبيين. وألح الخطيب على وضوح الصورة الأولى بحشد الأصوات ذات الوضوح السمعي[161] فضلا عن تكرارها في طرفي الصورة: "طيب ونشر"، "التوحيد والتقديس والتمجيد والتحميد"، من صوت اللين: "يـ" وأصوات شديدة: "ط، ب، ت، د، ق"، وأصوات متوسطة مجهورة: "ل، ن، م"، وأصوات مجهورة: "ر، ج"[162]. وفي الصورة الثانية حشد الخطيب أصوات الصفير: "ذ، ش، ث، ف"[163] الموحية بالانتشار والتفشي[164] بين طرفي الصورة: "أذى"، "الشرك والتثليث والاعتقاد الفاجر الخبيث" والصفير مناسب للتعبير عن انتشار أدناس الصليبيين في بيت المقدس قبل استرداده منهم، وانتشار الأدناس يوحي بجهد الفاتحين في إزالتها بما استحقوا به الشكر والاستغفار.

استرداد بيت المقدس نعمة تقتضي الشكر والحفاظ عليها

بعد إبراز الخطيب فضل بيت المقدس على الفاتحين وما نتج عنه من نيل الحظوات في الدنيا والآخرة وهو ما يغبطهم عليها المسلمون بعدهم؛ انتقل إلى توجيه الفاتحين إلى شكر نعمة الله عليهم بأن جعلهم من خير عباده الذين استجابوا لنداء بيته المقدس فأثابهم فضلا في الآخرة يلزم عليهم الحفاظ عليه بقية حياتهم بتقوى الله، وفضلا في الدنيا بالتمتع بالصلاة في مصلى الرسول بالملائكة والأنبياء عليهم السلام والتمتع بشرف القيام على خدمة البيت الذي قدسه الله وهو ما يلزمهم بالحفاظ عليه واستئناف الجهاد لتطهير ما حوله من دنس الكفر.

وقد أبرز الخطيب تلك النعم وما يقتضيها من المحافظة عليها بعدة وسائل لغوية، منها: الاعتماد على الطلب لحث الفاتحين على الحفاظ على بيت المقدس وعلى ما أثابهم الله تعالى باسترداده: "احفظوا هذه الموهبةَ فيكم"، وتأكيد الحث بالمرادف الدلالي لضمان استجابتهم للطلب: "واحرسوا هذه النعمةَ عندكم"، والإلحاح على الحث بتكرار الطلب: "احذروا، خذوا، جاهدوا، احذروا" والإلحاح يكشف عن رغبة الخطيب الشديدة في

الحفاظ على بيت المقدس لمنزلته وفضله على المسلمين، ومهد الخطيب للإلحاح عليهم بالدعاء لهم عن طريق الاعتراض[165]: "رحمكم الله" لضمان استجابتهم للطلب والتخفيف من وطأة الإلحاح الآتي بعده، كما أوجد بالاعتراض علاقة منطقية بين الاستجابة المتمثلة في تقوى الله والحفاظ على بيت المقدس على اعتبارهما سببين وبين رحمة الله إياهم على اعتبارها نتيجة لهما مما مثل إغراء لهم للاستجابة إلى الطلب.

ومنها: الاعتماد في تحذيرهم من التقاعس عن الحفاظ على بيت المقدس على الطول الخطي بالإطناب والعطف ليتقرر التحذير في أذهانهم عن طريق بقائه فيها مدة طويلة: "*واحذروا من اتباعِ الهوى، وموافقةِ الردى، ورجوعِ القهقري، والنكولِ عن العِدى*"، وعزز طول مدة بقاء الحذر في أذهانهم بانطواء كلمات الفواصل على المد بالألف المستغرق في الطول[166] فضلا عن وضوحه سمعيا مما يصبغ الدلالة بالوضوح، ويضفي استعمال المصدر على الحذر إطلاقا في الزمن مما يعني عموم الحذر كل زمان. واللافت للنظر أن الخطيب ربط بين الحذر من أجل الحفاظ على بيت المقدس وبين استكمال الجهاد لإزالة بقايا الصليبيين من حوله وهو ما يكشف عن رؤية الخطيب في أن الحفاظ على بيت المقدس يستلزم الحفاظ على ما حوله من إقليم: "*وخذوا في انتهازِ الفرصة، وإزالةِ ما بقي من الغصة. وجاهدوا في اللهِ حقَّ جهادِه، وبيعوا- عبادَ الله- أنفسَكم في رضاه إذ جعلكم من خيرِ عبادِه*"، وصور الخطيب لزوم عملية استئصال بقايا الصليبيين من إقليم بيت المقدس في صورة حسية متحركة مألوفة للمتلقين وهي الغصة التي تقف في حلق الطاعم أو الشارب فتكون حائلا مؤقتا بينه وبين التلذذ بما طعم يلزم عليه بالفطرة إزالتها عن موضعها في رد فعل سريع ليرسلها إلى معي الفناء. وعزز تلك الصورة باستخدام أصوات موحية[167] بدلالة الغصة على الشقاء- المؤقت- فصوت الغين الحلقي الرخو المتطلب جهدا عضليا للنطق به؛ يوحي بذلك الشقاء، وصوت الصاد المطبق الرخو ذو الصفير العالي[168] المقلق للسمع بتكراره؛ يوحي بالقلق مما يستدعي السرعة في إزالته.

وإلحاحا على الربط بين الحذر وبين الجهاد لتقرير مواصلته على اعتبار أن الجهاد وسيلة الحفاظ على بيت المقدس؛ اعتمد الخطيب على التأكيد عن طريق تكرار مادة

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

الجهاد اللغوية: "وجاهدوا في اللهِ حقَّ جهادِه". كما اعتمد على تقرير التضحية بالأعز في أذهانهم بتصوير جهادهم في عملية بيع وشراء والبائع هو الفاتح الصلاحي الذي استحق أن يطلق عليه من خير عباد الله ولذا استحق أن يكون المبيع أعز ما يملك وهي حياته الدنيوية لينال حياته الأخروية برضا الله تعالى: "*وبيعوا- عبادَ الله- أنفسَكم في رضاه إذ جعلكم من خيرِ عبادِه*". وعزز تلك الصورة بالتمثيل المقتبس من القرآن الكريم ليضاعف من التأثير عليهم بالتدليل بالآيات والتمثيل معا؛ لانتهاج تقوى الله تعالى والتواضع له ومواصلة الاعتصام بحبله المتين حتى لا يضيع أجر استردادهم لبيت المقدس هباء: "*واحذروا- عبادَ الله- بعد أن شرفكم بهذا الفتحِ الجليل، والمنحِ الجزيل. وخصكم بهذا النصرِ المبين، وأعلق أيديكم بحبلِه المتين؛ أن تقترفوا كبيرا من مناهيه، وأن تأتوا عظيما من معاصيه، فتكونوا {كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا}*[169]، *و{الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ}*[170]".

بيت المقدس نقطة الانطلاق لاستكمال الجهاد والفتح

بعد تقرير الخطيب أهمية الحفاظ على بيت المقدس على اعتبار استرداده نعمة تقتضي الشكر بتقوى الله تعالى؛ رفع نبرة الخطاب بنداء الجهاد ملحا على الفاتحين الصلاحيين بمواصلة نصر الله تعالى لينصرهم بتطهير بقية الأرض المقدسة من دنس أعدائه الصليبيين واستئصال شأفتهم واجتثاث شجرة الكفر وفروعها من الأرض المقدسة ومما حولها على اعتبار بيت المقدس قاعدة الجهاد ومركز الانطلاق إلى نشر دين الله تعالى على الأرض، وأثناء الإلحاح على الجهاد أبرز الخطيب الواقع العملي من ضعف الصليبيين بعد انتصار الفاتحين الصلاحيين عليهم ودحرهم وقتل طواغيتهم وقادتهم وأسر كبرائهم، في مقابل زيادة قوة الفاتحين بنصر الله تعالى إياهم، وهو ما يعد إغراء للفاتحين بسهولة القضاء على بقية الصليبيين. واللافت للنظر أن الخطيب ختم خطبته الأولى بالآيات التي نزلت في يهود بني النضير[171] أول سورة الحشر: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا

وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ. وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[172]، ولعل القصد من إيراد الآيات ما فيها من مشابهة حال الصليبيين الذين تحصنوا في الأرض المقدسة وعلى الرغم من هذا انتصر عليهم المسلمون ودحروهم عن بيت المقدس ومصيرهم جهنم لكفرهم بالله تعالى؛ لحال اليهود الذين احتموا بحصونهم في المدينة عندما غدروا بالرسول صلى الله عليه وسلم فأذلهم الله بأيدي المؤمنين وأجلاهم عنها ومصيرهم جهنم لكفرهم بالله تعالى، وعلى هذا فتلك المشابهة معززة لإغراء الخطيب الفاتحين بمواصلة الجهاد على اعتبار قوتهم المستمدة من نصر الله لهم في مقابل ضعف الذين كفروا من أهل الكتاب من اليهود والصليبيين لقذف الله الرعب في قلوبهم. ولعل استدعاء الخطيب ذكر كفار اليهود منبه للمسلمين للحذر من طمع طوائف الكفر- على اختلافهم- في بيت الله المقدس وليس الصليبيين فحسب، وهو ما غاب عنا حديثا.

وقد أبرز الخطيب دعوته الفاتحين بمواصلة الجهاد بعدة وسائل لغوية، منها: الاعتماد على أسلوب الإغراء: "*والجهادَ الجهادَ فهو من أفضلِ عباداتِكم، وأشرفِ عاداتِكم*"، وكرر فيه كلمة الجهاد لتقرع أسماعهم ويتقرر في أذهانهم، وبيَّن عموم أفضليته للآخرة والدنيا بالجمع بين العبادة والعادة. ومنها: تعزيز الإغراء بالجهاد لتقريره بتكرار قالب تركيبي ذي طبيعة شرطية تتسم الروابط التركيبية بين مكوناته بالقوة[173]: "*انصروا اللهَ؛ ينصرْكم، احفظوا اللهَ؛ يحفظْكم، اذكروا اللهَ؛ يذكرْكم، اشكروا اللهَ؛ يزِدْكم ويشكرْكم*" مما زاد من قوة العلاقة المنطقية بين السبب: "انصروا الله" والنتيجة: "ينصركم" فضلا عن تكرار المادة اللغوية للنصر والحفظ والذكر والشكر في النتائج، وتلك القوة تضفي على النتائج حتمية الترتب على الأسباب أو بمعنى آخر يقرر الخطيب في أذهان المتلقين حتمية نصر الله إياهم حال جهادهم الصادق في سبيله.

ومنها: تعزيز الإغراء بالجهاد بالتأثير البصري على المتلقين الناتج عن تتابع تصوير الجهاد للتخلص من بقية الصليبيين ودحرهم عن إقليم بيت المقدس وأراضي المسلمين؛ في

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

عدة صور حسية متحركة تتكون في ذهن المتلقي وكأنه يراها رأي العين: "*خذوا في حسمِ الداء، وقطعِ شأفةِ الأعداء. وطهروا بقيةَ الأرضِ من هذه الأنجاسِ التي أغضبت اللهَ ورسولَه، واقطعوا فروعَ الكفرِ واجتثوا أصولَه*" في الأولى صور الجهاد ضد بقية الصليبيين بعملية قطع مستأصل لعيب أو علة أصابت جسد الأمة الإسلامية، وفي الثانية ألح على الصورة الأولى بتخصيص الداء في الشأفة[174] التي تصيب القدم ويسهل استئصالها لتحديدها وسهولة رؤيتها، وفي الثالثة صور بقية الصليبيين وأعمالهم بالنجس الذي أصاب الأرض المباركة وجهاد الفاتحين يزيله ويطهرها منه بسهولة لسهولة رؤيته أيضا للإشارة إليه: "هذه الأنجاس"، وفي الرابعة صور كفر الصليبيين بشجرة على الفاتحين اجتثاث أصلها وقطع فروعها بالجهاد.

ومنها: الإلحاح على الجهاد بتكرار الطلب مصاحبا للإغراء بسهولة القيام به: "*واعلموا- رحمكم الله- أن هذه فرصةٌ فانتهزوها، وفريسةٌ فناجزوها، وغنيمةٌ فحوزوها، ومهمةٌ فأخرجوا لها هممَكم وبرِّزوها، وسيِّروا إليها سرايا عزماتِكم وجهزوها*" فالقضاء على بقايا الصليبيين مهمة وفرصة لأنهم بمثابة غنيمة سهلة الاقتناص وفريسة منتظرة من يأكلها، وأسهمت الفاء في صبغ الاستجابة المطلوبة من الفاتحين بالسرعة فضلا عن إسهامها في الربط بين الأسباب[175]: العلم بأن الصليبيين فريسة وغنيمة والقضاء عليهم فرصة ومهمة، وبين النتائج: الانتهاز والمناجزة والحوز والتبريز، مما أوجد علاقة منطقية تجعل من اقتناص فرصة القضاء على بقايا الصليبيين أمرا بديهيا لا يحتاج إلى الطلب أو الإلحاح عليه. وأسهم حشد الخطيب أصوات الصفير فضلا عن تكرارها في الأسباب والنتائج: "ذ، ف، ص، س، ز" في الإيحاء بطلب سرعة الاستجابة من الفاتحين للتجهز للجهاد بما يشبه الإعلان عنه ببوق ذي صوت عال منبه للآذان.

تشريف قائد الفتح والانطلاق إلى حكم العالم

بعد انتهاء الخطيب من الخطبة الأولى شرع في الخطبة الثانية مخصصا إياها للدعاء للسلطان صلاح الدين الأيوبي قائد استرداد بيت المقدس، ومهد للدعاء بتعديد بعض أعمال صلاح الدين من تواضعه لله تعالى وشكره لنعمه، وإعماله السيف في سبيله

والدفاع عن دينه، وذبه عن مدينة الرسول وبيوت الله المقدسة وتطهيره بيت المقدس من دنس الكفار، وجمع كلمة المسلمين، وقمع الصليبيين ودحرهم. ويبدو من الدعاء أن الخطيب اعتبر استرداد بيت المقدس نقطة الانطلاق إلى حكم الأرض ونشر دين الله تعالى فيها وإزالة الكفر عنها، وهنا إشارة إلى مقتطفات من دعائه: "*اللهم عمَّ بدولتِه البسيطة. انشرْ في المشارقِ والمغاربِ دعوتَه. اللهم كما فتحت على يده البيتَ المقدسَ..؛ فافتحْ على يده دانيَ الأرضِ وقاصيها، وملِّكْه بفضلِك وكرمِك صياصي الكفرةِ ونواصيها. أنفِذْ في المشارقِ والمغاربِ أمرَه ونهيَه. اللهم وأصلحْ به أوساطَ البلادِ وأطرافَها، وأرجاءَ الممالكِ وأكنافَها. انشرْ ذوائبَ ملكِه برحمتِك على الأمصار، وابثُثْ سرايا جنودِه في سبلِ الأقطار*"، فالخطيب يدعو الله تعالى أن يعم حكم صلاح الدين العالم مشارقه ومغاربه قاصيه ودانيه بعدما يسر الله تعالى له فتح بيت المقدس، ولعل هذا ما تبلور في ذهن الخطيب من الموروث الديني[176] فجعله يصدح بالدعاء به عسى أن يكون ذلك على يد صلاح الدين، ولعل ارتباط الموروث الديني بقتال اليهود بين يدي الساعة والسيادة على العالم هو سر إلحاح الخطيب على ذكر اليهود والإشارة إليهم في أكثر من موضع في ثنايا خطبته.

وفيما أثر عن السلطان صلاح الدين ما يشير إلى أنه بعد فتح بيت المقدس تبلورت فكرة نشر السيادة على العالم في عقول المسلمين وبدت الرغبة في تنفيذها، وهو ما يتضح من حديث السلطان صلاح الدين مع القاضي ابن شداد: "*أما أحكي لك شيئا؟ قلت: بلى. قال: في نفسي أنه متى يسر الله تعالى فتح بقية الساحل قسمت البلاد وأوصيت وأودعت وركبت هذا البحر إلى جزائرهم أتتبعهم فيها حتى لا أبقي على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت*"[177].

وهذا ما يوافق حديثا نظرية دوائر البركة لبيت المقدس، وهي في مضمونها تشير إلى أن السيادة على العالم تبدأ من بيت المقدس، وتستمد أركانها من المستجدات العالمية السياسية الحديثة ووقائع التاريخ الإسلامي، فقد بدا: "*للمسلمين بكل جلاء وربما للمرة الأولى العناصر العالمية العملية لرسالتهم الجديدة وأظهرت لهم أن رسالتهم لم ولن تكون*

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

أمرا داخليا بل عالميا، إضافة إلى ذلك فقد تأكد لديهم أنه حتى مع معاناتهم المؤقتة فلن تنحصر رسالتهم داخل حدود مكة أو شبه الجزيرة العربية بل ستمتد لتصل إلى بيت المقدس ومنها إلى بقية العالم، ولا شك أن وصول رسالة الإسلام إلى بيت المقدس- مركز البركة- يعني وفقا لنظرية دوائر البركة لبيت المقدس أن هذه الرسالة سينبعث شعاعها من بيت المقدس ليمتد ويتسع ليصل إلى المستوى العالمي، بمعنى آخر فإن الدعوة الجديدة ستخرج من طور المحلية إلى العالمية من خلال إشعاعها من مركز البركة في بيت المقدس، وهكذا لم يكن بيت المقدس مجرد أرض للأمل فحسب بل كان مصدرا للتغيير الجذري وبدايته وصولا للعالمية انطلاقا من بيت المقدس"[178].

خلاصة القراءة

- فتح بيت المقدس توفيق من الله لعباد استحقوا السيادة عليه بإخلاص الإيمان والجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم بعد أن جمعت كلمتهم وعدتهم.
- يعد احتفال صلاح الدين قائد تحرير بيت المقدس وقادته وجنوده المجاهدين والأمة وعلمائها ومشايخها بنصر الله إياهم بالصلاة والحمد والشكر وتطهير مظاهر الكفر والتدنيس ونسبة النصر إلى الله تعالى؛ دالا على منزلة بيت المقدس.
- جهاد المسلمين في تحرير بيت المقدس لا يفرق بين كون من اغتصبه من الصليبيين أو اليهود أو غيرهم.
- حق السيادة على بيت المقدس لعباد الله المسلمين ما داموا مخلصين عبادتهم لله ومواصلين جهادهم ضد كل من دنس الأرض المقدسة بكفره وظلمه من صليبيين وصهاينة وغيرهم.
- سيادة المسلمين على بيت المقدس مقياس عزتهم وسبب تشريفهم دينيا ودنيويا.
- جهاد المسلمين لاسترداد بيت المقدس وبسط سيادتهم عليه وتطهيره من الشرك ومظاهره؛ مقياس اتباعهم نهج الرسول وصحابته.

- ارتباط صفوة خلق الله تعالى مكانيا ببيت المقدس كاشف عن قدسيته وأهميته.
- حاجة المسلمين إلى بيت المقدس لنيل شرف السيادة عليه وشرف الجهاد في سبيل الله الذي قدس هذا البيت وبارك فيما حوله وخصه بالمعجزات الخارقة للطبيعة.
- استرداد بيت المقدس نعمة من الله تقتضي الشكر ومن مظاهر الشكر المحافظة عليه.
- لبيت المقدس الفضل في جمع كلمة المسلمين ووحدتهم، ونقطة الانطلاق لفتح العالم.
- الحفاظ على بيت المقدس يستلزم الحفاظ على ما حوله من إقليم.
- السيادة على العالم تبدأ من بيت المقدس.

الهوامش

1 عبد الفتاح العويسي المقدسي، *صناعة التاريخ المستقبلي- نماذج بيت المقدس لتفسير الأحداث المعاصرة وتوجيهها*، ص133، دار الخلدونية، الجزائر، ط2، 2013م.

2 الذهبي، *تاريخ الإسلام*، ج42، ص367، ت. عمر التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 2، 1993م. وانظر ترجمته: ابن كثير، *البداية والنهاية*، ج16، ص717 وما بعدها، ت. عبد الله التركي، دار هجر، 1997. والصفدي، *الوافي بالوفيات*، ج4، ص122 وما بعدها، ت. أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، 2000م. والسبكي، *طبقات الشافعية الكبرى*، ج6، ص157 وما بعدها، ت. محمود الطناحي، دار هجر، ط2، 1413هـ. وابن قاضي شهبة، *طبقات الشافعية*، ج2، ص39 وما بعدها، ت. الحافظ خان، عالم الكتب، بيروت، 1407هـ. وابن خلكان، *وفيات الأعيان*، ج4، ص229 وما بعدها، ت. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994م.

3 المشهور عند المؤرخين أن صلاح الدين تسلم بيت المقدس يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، وسيأتي إيراد ذلك.

4 العماد الأصفهاني، *الفتح القسي في الفتح القدسي*، ص77، دار المنار، 2004م.

5 ابن العديم، *زبدة الحلب في تاريخ حلب*، ص412، ت. خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

6 الفتح بن علي البنداري، *سنا البرق الشامي مختصر البرق الشامي* للعماد الأصفهاني، ، ص312، ت. فتحية النبراوي، الخانجي، القاهرة، 1979م.

7 أبو شامة المقدسي، *عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية*، ج3، ص381، ت. إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م.

8 ابن تميم المقدسي (765هـ)، *مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام*، ص367، ت. أحمد الخطيمي، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1994م.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

9 ابن شداد، *النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية*، ص135، ت. جمال الدين الشيال، الخانجي، القاهرة، 1994م.

10 العماد الأصفهاني، *الفتح القسي*، ص74.

11 العماد الأصفهاني، *الفتح القسي*، ص77-78.

12 الأنعام، الآية: 45.

13 الفاتحة، الآيات: 2- 4.

14 الأنعام، الآية: 1.

15 الإسراء، الآية: 111.

16 الكهف، الآيات: 1- 5.

17 النمل، من الآية: 59.

18 سبأ، الآيتان: 1-2.

19 فاطر، من الآية: 1. تمام الآيات الواردة بدء الخطبة من شفاء القلوب.

20 في شفاء القلوب: الدين.

21 "وإظهاره" سقطت من شفاء القلوب.

22 في مثير الغرام: وتطهيره لبيته المقدس. وفي كنز الدرر: تطهيره لبيت المقدس من أنجاس الشرك وأوضاره. وفي وفيات الأعيان: تطهير بيته المقدس.

23 في مثير الغرام: ظاهر إظهاره. في كنز الدرر: وظاهر شكره.

24 في كنز الدرر: الواحد الأحد الفرد الصمد.

25 الإخلاص، الآيتان: 3- 4.

26 النجم، الآية: 17.

27 في مثير الغرام، كنز الدرر: شعائر.

28 في مثير الغرام: استرداد هذه الضالة وردها. وما بينهما ساقط.

29 "شيد بنيانه بالتمجيد" من وفيات الأعيان ومثير الغرام. ومكانها في الروضتين وشفاء القلوب: وبالتقوى.

30 في مثير الغرام: فهو موطن أبيكم إبراهيم ومعراج نبيكم عليه الصلاة والسلام.

31 في مثير الغرام: ومقصد الأتقياء ومدفن الرسل ومهبط الوحي وتنزل به الأمر والنهي. وفي شفاء القلوب: مقر الرسل. وفي وفيات الأعيان: مدفن الرسل.

32 في مثير الغرام: وهو في المسجد الأقصى. وفي وفيات الأعيان: وهو المسجد الأقصى.

33 في مثير الغرام: الذي كرمه الله برسالته وشرفه بنبوته.

34 سورة النساء، من الآية: 172.

35 المؤمنون، الآيتان: 91- 92. من "كذب العادلون" إلى هنا منقول من مثير الغرام ولم يرد في الروضتين ولا في شفاء القلوب.

36 المائدة، من الآية: 17.

37 في الروضتين: مبارع. والتعديل من وفيات الأعيان ومثير الغرام.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

38 في مثير الغرام: الفتوحات والملاحم والحملات، مكان: الفتوح والوقعات والهجمات، على الترتيب. وفي شفاء القلوب: الفتوحات العمرية مكان الفتوح العمرية.

39 في مثير الغرام: نبيكم. وفي شفاء القلوب: عن محمد نبيه.

40 في شفاء القلوب: ذكرها.

41 من وفيات الأعيان ومثير الغرام وشفاء القلوب، في الروضتين: النعمة.

42 "له" من شفاء القلوب.

43 من وفيات الأعيان ومثير الغرام وشفاء القلوب، في الروضتين: عليه.

44 في وفيات الأعيان ومثير الغرام: وأن تكون التهاني لأهل الخضراء أكثر من التهاني لأهل الغبراء.

45 "أليس" سقطت من مثير الغرام وتكرر سقوطها في الجملتين التاليتين.

46 الإسراء، الآية: 1.

47 من وفيات الأعيان ومثير الغرام، في الروضتين وشفاء القلوب: الملوك.

48 من وفيات الأعيان ومثير الغرام. وفي الروضتين وشفاء القلوب: جاءت "لأجله" قبل "أن تغرب".

49 في وفيات الأعيان ومثير الغرام: وقد فضلت على العالمين ووفقكم لما خذلت فيه أمم كانت قبلكم من الأمم الماضين.

50 في مثير الغرام: جنود الأهوية.

51 في مثير الغرام: نشر التمجيد والتقديس. و"التمجيد" من شفاء القلوب.

52 كلمة "خير" من وفيات الأعيان ومثير الغرام.

53 آل عمران، من الآية: 126.

54 من شفاء القلوب. في الروضتين: وخصكم بهذا الفتح المبين. وفي وفيات الأعيان ومثير الغرام: وخصكم بنصره المبين.

55 في مثير الغرام: خصكم بنصره المبين، وجملة " وأعلق أيديكم بحبله المتين " ساقطة.

56 النحل، من الآية: 92.

57 الأعراف، من الآية: 175.

58 جملة "احفظوا الله؛ يحفظكم" من وفيات الأعيان ومثير الغرام.

59 من وفيات الأعيان ومثير الغرام، في الروضتين: وتطهير بقية الأرض التي أغضبت الله ورسوله.

60 جملة "وغنيمة فحوزوها" من وفيات الأعيان ومثير الغرام. وسقطت كلمة "مهمة" من مثير الغرام.

61 من مثير الغرام. في الروضتين ووفيات الأعيان: منهم منكم. وفي شفاء القلوب: منكم.

62 الأنفال، من الآية: 65.

63 آل عمران، من الآية: 160.

64 الأعراف، الآية: 204.

65 الآيات: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ. وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ

الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {الحشر1-4}.

66 العبارة من "إن أشرف مقال" إلى "فاستغفروه" من وفيات الأعيان ومثير الغرام ولم ترد في الروضتين ولا في شفاء القلوب.

67 "وحرم رسولك"، "والكهف الأظل" من شفاء القلوب وكنز الدرر. ولم تردا في الروضتين ولا في وفيات الأعيان ولا في مثير الغرام.

68 "الأوثان" من شفاء القلوب.

69 جملة "من أثر المشركين" من مثير الغرام. ولم ترد في الروضتين ولا في وفيات الأعيان. ووردت في شفاء القلوب: من أيدي المشركين.

70 "المقربين" من شفاء القلوب وكنز الدرر.

71 "الحنيفي" سقطت من مثير الغرام.

72 "المسلمين" من شفاء القلوب وكنز الدرر.

73 في مثير الغرام: للإسلام.

74 "بفضلك وكرمك" من شفاء القلوب.

75 "بعزتك" من شفاء القلوب وكنز الدرر.

76 "له" من شفاء القلوب وكنز الدرر.

77 "برحمتك" من شفاء القلوب.

78 جملة "وابثث سرايا جنوده في سبل الأقطار" سقطت من مثير الغرام.

79 في مثير الغرام: واحفظه في بنيه الغر الميامين وإخوته أولي الغز والتمكين وشد عضده ببقائهم واقض بإعزاز أوليائك وأوليائهم.

80 في مثير الغرام: السنة.

81 النمل، من الآية: 19.

82 أبو شامة المقدسي (665هـ)، *الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية*، ج3، ص248- 253، تعليق. إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ابن خلكان (681هـ)، *وفيات الأعيان*، ج4، ص230-236، ت. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994م. ابن تميم المقدسي (765هـ)، *مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام*، ص368- 375، ت. أحمد الخطيمي، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1994. أحمد بن إبراهيم الحنبلي (876هـ)، *شفاء القلوب في مناقب بني أيوب*، ص146- 152، ت. مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة. ابن أيبك الدواداري، *كنز الدرر وجامع الغرر*، ج7، ص87-89، ت. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، 1972. وأورد الخطبة الثانية وجزءا من الخطبة الأولى.

83 ابن شداد، *النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية*، ص40.

84 العماد الأصفهاني، *الفتح القسي في الفتح القدسي*، ص80.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

85 ابن الجوزي، *المنتظم في تاريخ الأمم والملوك*، ج17، 47، ت. محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

86 انظر بعض المذابح التي ارتكبتها العصابات الصهيونية ضد المسلمين منذ اغتصابها الأراضي الفلسطينية وبيت المقدس: عبد الوهاب المسيري، الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى، ص280 وما بعدها، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2002م.

87 نقل الواحدي عن الكلبي والسدي أن المقصود بالذين قالوا اتخذ الله ولدا هم اليهود والنصارى، انظر: الواحدي، *الوسيط في تفسير القرآن المجيد*، ج3، ص136، ت. عادل أحمد عبد الموجود وفريق عمل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م. وذهب الرازي إلى أنهم كفار العرب والنصارى واليهود، انظر: الرازي، *مفاتيح الغيب*، ج21، ص425، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

88 انظر ذلك: الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، ج17، ص590، ت. أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 2000م، وذكر اليهود والنصارى والعرب والصابئين والمجوس.

89 الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، ج11، ص363.

90 الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، ج11، ص254.

91 الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، ج19، ص482.

92 الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، ج17، ص593.

93 التأكيد هنا من ثبوت حقيقة الأول في الذهن، انظر دلالة عطف المتقابلين على ثبوت دلالة المعطوف عليه: عفت الشرقاوي، *بلاغة العطف في القرآن الكريم*، ص214، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

94 انظر دلالة عطف أحد المترادفين على الآخر على التأكيد: الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، ج2، ص472 وما بعدها. ت. أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، 1957.

95 الترادف الدلالي بين عزة الإسلام وذل الكفر في مكان واحد هو بيت المقدس وزمن واحد هو زمن الفتح والسيادة عليه؛ مفهوم من انتفاء حصول عزة الإسلام والشرك، وانتفاء ذل الإسلام والشرك في مكان واحد وزمن واحد.

96 انظر المقصود بأصوات الصفير وتفصيلها: إبراهيم أنيس، *الأصوات اللغوية*، ص66 وما بعدها، الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1999م. وانظر إيحاء الأصوات بدلالة نابعة من صفاتها: إبراهيم أنيس، *دلالة الألفاظ*، ص65، الأنجلو المصرية، القاهرة، 2004م.

97 انظر دلالة التكرار على التأكيد والتقرير: الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، ج3، ص8 وما بعدها.

98 الإطلاق هنا لدلالة المصدر على المعنى المجرد بغير تحديد زمان، انظر: عباس حسن، *النحو الوافي*، ج3، حاشية ص183. دار المعارف، القاهرة، ط3، د.ت.

99 انظر دلالة الحال على الملازمة: عباس حسن، *النحو الوافي*، ج2، 366.

100 تلك الدلالة مفهومة من قول الزركشي: "ولهذا لا يجوز تأكيد الماضي ولا الحاضر لئلا يلزم تحصيل الحاصل وإنما يؤكد المستقبل"، انظر: الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، ج2، ص384.

101 دلالة التعدي على الفاعلية لقدرته التأثيرية حسب تعبير النحويين ومنهم مجد الدين ابن الأثير، انظر: ابن الأثير، *البديع في علم العربية*، ج1، ص431/ ت. فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، 1420هـ.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

102 انظر ذلك: إبراهيم أنيس، *الأصوات اللغوية*، ص26 وما بعدها.

103 انظر تلك الدلالة: الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، ج3، ص21.

104 انظر دلالة المفاعلة على المشاركة: ابن الأثير، *البديع في علم العربية*، ج2، ص411، ت. صالح حسين العايد، جامعة أم القرى، 1421هـ.

105 انظر تلك الدلالة: عباس حسن، *النحو الوافي*، ج2، حاشية ص97.

106 انظر تلك الدلالة: الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، ج4، ص66.

107 انظر تلك الدلالة: الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، ج3، ص235.

108 انظر دلالة عطف المتقابلين على الشمول: الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، ج3، 465. ومحمد عبد المطلب، *بناء الأسلوب في شعر الحداثة*، ص152، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1995م.

109 انظر دلالة ذكر الخاص بعد العام: عبد المتعال الصعيدي، *بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة*، مكتبة الآداب، القاهرة، ج2، ص119.

110 انظر دلالة طهر: أحمد مختار عمر وفريق عمل، *معجم اللغة العربية المعاصر*، مادة طهر 3247، ص1417، عالم الكتب، القاهرة، 2008م.

111 انظر دلالة فعّل على المبالغة والتكرير والتكثير: الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، ج3، ص35 وما بعدها.

112 صوت الراء والوصل بالهاء الساكنة "ره" في مجموعتي الفواصل الأولى والأخيرة، وصوت اللام والوصل بالهاء الساكنة "له" في مجموعة الفواصل الثانية، وصوت العين الساكن في مجموعة الفواصل الثالثة "ـعْ".

113 انظر ذلك: إبراهيم أنيس، *الأصوات اللغوية*، ص26 وما بعدها.

114 النبر في كلمات الفواصل الخمس الأول: "بنصره، بقهره، بأمره، بشكره، بمكره" على: "نص، قه، أم، شك، مك". وفي كلمات الفواصل الأربع التالية: "بعدله، بفضله، ظله، كله" على: "عد، فض، ظل، كل". وفي كلمات الفواصل الأربع التالية لها: "يمانع، ينازع، يراجع، يدافع" على: "ما، نا، را، دا". وفي كلمات الفواصل الأربع التالية لها: "إظهاره، أنصاره، أوضاره، جهاره" على: "ها، صا، ضا، ها".

115 من كلمات الفواصل: "بنصره، بعدله، يمانع، أنصاره"، ومثلنا بكلمة فاصلة واحدة من مجموع الفواصل المقسمة إلى أربع مجموعات. والمجموعتان الأخيرتان من الفواصل نبر فيها على مقطع من النوع الثاني. المقصود بالمقطع من النوع الثالث هو المتكون من صوتين صامتين بينهما حركة قصيرة وثانيهما ساكن. والمقطع من النوع الثاني هو المتكون من صوت صامت وصوت لين طويل. والمقصود بالنبر هو الضغط على مقطع واحد من مقاطع الكلمة عن طريق نشاط أعضاء النطق في وقت واحد، انظر تفصيل المقاطع الصوتية والنبر وأماكن النبر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص131 وما بعدها، وص138 وما بعدها.

116 انظر دلالة الحال على الثبات: عباس حسن، *النحو الوافي*، ج2، ص366.

117 الإخلاص، الآيتان: 3- 4.

118 انظر تلك الدلالة: محيي الدين الدرويش، *إعراب القرآن الكريم وبيانه*، ج10، ص619، دار ابن كثير، دمشق، ط3، 1992م.

119 انظر تلك الدلالة: الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، ج2، ص464، 478.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

120 الإطناب كما عرفه ابن الأثير: "هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة"، انظر ذلك: ابن الأثير، *المثل السائر*، ج2، ص120، ت. محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1990م. وانظر أيضا تعريفه ودلالاته: عبد المتعال الصعيدي، *بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة*، ج2، ص117.

121 النجم، الآية: 17.

122 انظر دلالات الذكر: عبد المتعال الصعيدي، *بغية الإيضاح*، ج1، ص135.

123 انظر دلالة الصفة على اللزوم والتأكيد: بدر الدين الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، ج2، ص430.

124 انظر تلك الدلالة: عباس حسن، *النحو الوافي*، ج3، ص236.

125 انظر دلالة النداء بأيها على التأكيد والتنبيه والاعتناء بالخطاب الذي يتلوه: الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، ج2، ص415.

126 الفاصل هنا الإطناب بالموصول والصلة وما عطف على الصلة: "الذي هو الغاية القصوى والدرجة العليا".

127 انظر دلالة التقديم على التخصيص والقصر: عبد المتعال الصعيدي، *بغية الإيضاح*، ج1، ص93 وما بعدها.

128 الأولى بمعنى: ما ضاع وفقد، والمقصود بيت المقدس أثناء غياب سيادة المسلمين عليه باغتصاب الصليبيين له، والثانية: المنحرف عن الطريق الصحيح أو المنحرف عن دين الله والمقصود: الصليبيون. انظر معنى ضلَّ: ابن منظور الإفريقي، *لسان العرب*، ج11، ص390، دار صادر، بيروت. وانظر الجناس وأثره الموسيقي: علي الجندي، *فن الجناس*، ص31 وما بعدها، دار الفكر العربي، القاهرة، 1954م.

129 من المعلوم أن بعض الشيعة قد ادعوا أن المسجد الأقصى في السماء وذلك استنادا على ما لم يصح من روايات منكرين ما ورد في الكتاب والسنة من أفضال المسجد الأقصى التي لا شبهة فيها، انظر كون المسجد الأقصى في مكانه المعروف في مدينة بيت المقدس في أرض فلسطين وليس في السماء ومفتريات الشيعة حول المسجد الأقصى والردود عليها: طارق أحمد حجازي، الشيعة والمسجد الأقصى، من إصدارات لجنة الدفاع عن عقيدة أهل السنة، فلسطين.

130 صحيح البخاري 3366، وصحيح مسلم 520.

131 مسند أبي يعلى الموصلي، ح 7088، ج12، ص523، ت. حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، 1984م. وحكم حسين سليم أسد: إسناده صحيح. وورد في مسند أحمد ح27626 عن ميمونة مولاة النبي.

132 انظر تلك الدلالة: الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، ج2، ص405.

133 انظر دلالة في على المحلية أو الظرفية المكانية: ابن هشام، *مغني اللبيب*، ج2، ص513.

134 آل عمران، الآية: 68.

135 انظر دلالة العطف على الشمول: عفت الشرقاوي، *بلاغة العطف في القرآن الكريم*، ص238.

136 انظر تلك الدلالة: الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، ج2، ص487. وانظر دلالة تكرار الذكر على الاستعذاب: محمد عبد المطلب، *جدلية الإفراد والتركيب*، ص141.

137 انظر تلك الدلالة: الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، ج3، ص326.

138 انظر القصر وأقسامه وأدواته ودلالته: عبد المتعال الصعيدي، *بغية الإيضاح*، ج2، ص3 وما بعدها.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

139 انظر التضمين ودلالته على تأكيد المعنى المقصود: ابن الأثير، *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*، ج2، ص326، ت. محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1990م.

140 سنن أبي داود، ج3، ص378، ج 2033، ت. شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة، 2009م. وحكم المحقق: إسناده صحيح. وأخرجه البخاري (1189)، ومسلم (1397)، وابن ماجه (1409)، والحميدي (973). والنسائي في "الكبرى" (781) من طريقين عن الزهري، بهذا الإسناد. وأخرجه مسلم (1397) من طريق سلمان الأغر، عن أبي هريرة: أن رسول الله- صلَّى الله عليه وسلم- قال: "إنما يسافَر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدي، ومسجد إيلياء". وهو في "مسند أحمد" (7722)، و(7191): والمسجد الحرام، و(7248): ومسجدي. وابن أبي شيبة (7538): لا تشدوا. و"صحيح ابن حبان" (1619). وله لفظ آخر في سنن ابن ماجة (1410): "لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَإِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَإِلَى مَسْجِدِي هَذَا" وحكم المحقق: حديث صحيح، وأخرجه البخاري (1188)، ومسلم بإثر الحديث (1338) / (415)، والترمذي (326) من طريق عبد الملك بن عمير، عن قزعة، عن أبي سعيد وحده. والآثار (148). و"صحيح ابن حبان" (1617)، و"شرح مشكل الآثار" (578). وله صور أخرى في مسند أبي داود (1445)، (2628). ومصنف عبد الرزاق (9158)، (9159). وابن أبي شيبة (15543). والبخاري (1197)، (1864)، (1995). ومسلم (415)، (511). والبزار (7963).

141 انظر دلالة الكناية على تثبيت الأمر وتأكيده: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص189.

142 انظر: أحمد مختار عمر وفريق عمل، *معجم اللغة العربية المعاصرة*، مادة خنصر ص702. وفيه: "عقدوا عليه الخناصر: اتفقوا وحافظوا عليه".

143 انظر المفعول المطلق ودلالاته: *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك*، ج2، ص172 وما بعدها، ت. محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط20، 1980م.

144 مسند أحمد، ج8298، ج8، ص275، ت. أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، 1995. وأورده الطحاوي في شرح مشكل الآثار (1069)، (1070)، والقطيعي في جزء الألف دينار (239). وله رواية أخرى مطولة أوردها الحاكم في المستدرك على الصحيحين (2618)، والطبراني في المعجم الأوسط (6600) تذكر مدينة أريحا. وذكر الشيخ الألباني: أن له أربع طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه وحكمه صحيح وأورد أقوال العلماء في أن الصواب مدينة بيت المقدس، انظر: الألباني، *سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها*، ج(202)، ج1، ص393 وما بعدها، مكتبة المعارف، الرياض، 1995م.

145 المائدة، الآية: 24.

146 توضيح ذلك أن التشبيه يكون بين طرفين بينهما اشتراك من وجه وافتراق من وجه آخر ويبطل التشبيه بتمام الاشتراك بين الطرفين أو تمام الافتراق بينهما، وهو المفهوم من قول السكاكي: "لا يخفى عليك أن التشبيه مستدع طرفين مشبها ومشبها به واشتراكا بينهما من وجه وافتراقا من آخر مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة أو بالعكس فالأول كالإنسانين إذا اختلفا صفة طولا وقصرا، والثاني كالطويلين إذا اختلفا حقيقة إنسانا وفرسا، وإلا فأنت خبير بأن ارتفاع الاختلاف من جميع الوجوه حتى التعيين يأبى التعدد فيبطل التشبيه لأن تشبيه الشيء لا يكون إلا وصفا له بمشاركته المشبه به في أمر والشيء لا يتصف بنفسه، كما أن عدم الاشتراك بين الشيئين في وجه من الوجوه يمنعك

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

محاولة التشبيه بينهما" *مفتاح العلوم*، ص439، ت. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م. وانظر أيضا: محمد عبد المطلب، بناء الأسلوب في شعر الحداثة، ص28.

147 وذلك لاحتمال: "تقربتم به إليه من مهراق الدماء" الدلالة على دماء الفاتحين الذين أصيبوا والدلالة على إسالة الفاتحين دماء الكفار الصليبيين، والدماء في الحالين للتقرب إلى الله.

148 انظر المفعول المطلق ودلالاته وما ينوب عنه: ابن عقيل، *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك*، ج2، ص172 وما بعدها.

149 انظر تلك الدلالة: الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، ج2، ص409.

150 انظر تلك الدلالة: عبد المتعال الصعيدي، *بغية الإيضاح*، ج1، ص67.

151 انظر دلالة الكناية على إثبات الصفة للموصوف: عبد القاهر الجرجاني، *دلائل الإعجاز*، ص306، ت. محمود محمد شاكر، الخانجي، القاهرة، ط5، 2004م.

152 انظر دلالة الاستفهام على التقرير والمقصود بالتقرير: عبد المتعال الصعيدي، *بغية الإيضاح*، ج2، ص39.

153 من قول الله تعالى في سورة المائدة: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّن الْعَالَمِينَ. يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ. قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ. قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ. قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ. قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}.

154 انظر دلالة قد على التحقيق والتأكيد: ابن هشام، *مغني اللبيب*، ج2، ص544، ت. عبد اللطيف محمد الخطيب، السلسلة التراثية، الكويت، 2000م.

155 التعبير بالصفوة لأن المقصودين بالذكر هنا من عاصروا نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام وعلى الرغم من هذا عصوه وتقاعسوا عن أمره في دخول بيت المقدس، وإن كانت الصفوة في تلك المرتبة الدونية فما بال العصابات الصهونية الآن.

156 انظر دلالة ذكر العام بعد الخاص على الاعتناء بالخاص: علي الجارم ومصطفى أمين، *البلاغة الواضحة*، ص241، مكتبة الآداب، القاهرة، 2002م. وانظر دلالته على التأكيد: الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، ج2، ص471.

157 انظر أثر المقابلة في ثبوت الدلالة: عفت الشرقاوي، *بلاغة العطف في القرآن الكريم*، ص214.

158 انظر أحوال المجتمع الإسلامي قبيل الحروب الصليبية وما تخلله من صراعات داخلية وخارجية في أقطار الدولة الإسلامية: محمود شلبي، *حياة صلاح الدين*، ص11 وما بعدها، دار الجيل، بيروت، ط3، 1989م.

159 قال ابن الأثير: "إن التشبيه المضمر أبلغ من التشبيه المظهر وأوجز أما كونه أبلغ فلجعل المشبه مشبها به من غير واسطة أداة فيكون هو إياه"، انظر: ابن الأثير، *المثل السائر*، ج1، ص377 وما بعدها.

160 قال ابن الأثير عنه أنه أبلغ أقسام التشبيه لتمثيله المعاني الموهومة بالصور المشاهدة، انظر: ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص381.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

161 من الأصوات ذات الوضوح السمعي أصوات اللين والأصوات المتوسطة والمجهورة والشديدة، انظر ذلك: إبراهيم أنيس، *الأصوات اللغوية*، ص27 وما بعدها.

162 انظر تفصيل أصوات اللين والأصوات الشديدة والمجهورة والمتوسطة: إبراهيم أنيس، *الأصوات اللغوية*، ص21–28.

163 انظر المقصود بأصوات الصفير وتفصيلها: إبراهيم أنيس، *الأصوات اللغوية*، ص66 وما بعدها.

164 انظر إيحاء الأصوات بدلالة نابعة من صفاتها: إبراهيم أنيس، *دلالة الألفاظ*، ص65.

165 انظر الاعتراض وأغراضه: عبد المتعال الصعيدي، *بغية الإيضاح*، ج2، ص129 وما بعدها.

166 المقصود بالطول هنا هو طول المدة الزمنية لنطق المد بالألف؛ إذ يقدره علماء الأصوات الأطول زمنيا، انظر: إبراهيم أنيس، *الأصوات اللغوية*، ص127 وما بعدها.

167 المقصود هنا الصوت المفرد الذي يوحي بذاته بدلالة ما تزيد على الدلالة المعجمية للكلمة، انظر تفصيل ذلك مع التطبيق: محمد صالح الضالع، *الأسلوبية الصوتية*، ص25 وما بعدها، دار غريب، القاهرة، 2002م.

168 انظر مخرج صوت الغين وصفاته وصوت الصاد وصفاته: إبراهيم أنيس، *الأصوات اللغوية*، ص76 وما بعدها، وص66 وما بعدها.

169 النحل، من الآية: 92.

170 الأعراف، من الآية: 175.

171 انظر: الواحدي، *أسباب نزول القرآن*، ص435 وما بعدها، ت. كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م.

172 الحشر، الآيات: 1–4.

173 انظر التراكيب ذات الطبيعة الشرطية وتميزها بالترابط الداخلي: محمد عبد المطلب، *جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم*، ص178 وما بعدها، لونجمان، القاهرة، ط2، 2004م.

174 التخصيص هنا من ذكر الخاص وهو الشأفة بعد العام وهو الداء، فالداء: اسم جامع لكل مرض وعيب في الرجال ظاهر أو باطن. والشأفة: قرحة تخرج في القدم وقيل في أسفل القدم وقيل هو ورم يخرج في اليد والقدم، انظر: ابن منظور الإفريقي، *لسان العرب*، ص1448، ص2176، ت. عبد الله على الكبير وفريق عمل، دار المعارف، القاهرة.

175 انظر دلالة الفاء على التعقيب والربط بين السبب والمسبب: ابن هشام، مغني اللبيب، ج2، ص479، ص485

176 وذلك من الأحاديث التي ذكر فيها أحداث بين يدي الساعة من قتال نصارى الروم واليهود وفتح قسطنطينية ورومية ونزول الخلافة بيت المقدس وخليفة المسلمين الذي يحكم الأرض ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ونشر دين الله تعالى على الأرض، انظر بعض ذلك: صحيح مسلم، ح/ 100– 111، 116– 118، 124، 79–82. وصحيح البخاري، ح/3449، 3176، 2925، 2926، 3593. وسنن أبي داود ح/4286. مسند أحمد، ح/ 22487، المستدرك للحاكم/ 8309. ويعزز اعتماد الخطيب على تسلسل الأحداث الواردة في الأحاديث المشار إليها ومن بينها نزول الخلافة بيت المقدس؛ اعتقاده أن زمانه آخر الزمان ويتضح ذلك من إشارته في الخطبة الأولى: "فماذا له عليكم من النعمةِ بأن جعلكم الجيشَ الذي يُفتحُ على يديه البيتُ المقدسُ في آخرِ الزمان".

177 ابن شداد، *النوادر السلطانية*، ص55.

178 عبد الفتاح العويسي المقدسي، *صناعة التاريخ المستقبلي– نماذج بيت المقدس*، ص6.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org